1

مدخل إلى فهم التطرف..
المبدأ والمنتهى

تقديم
فضيلة الأستاذ الدكتور
شوقي إبراهيم علام
مفتي الديار المصرية

١٤٤٤ هـ / ٢٠٢٢ م

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة

د. أحمد بهي الدين

الدليل المرجعي لمواجهة التطرف

تقديم

فضيلة الأستاذ الدكتور

شوقي إبراهيم علام

مفتي الديار المصرية

الطبعة الأولى

للهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢٢.

ص.ب ٢٣٥ رمسيس
١١٥٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق القاهرة
الرمز البريدي: ١١٧٩٤
تليفون: ٢٥٧٧٧٥١٠٩ (٢٠٢) داخلي ١٤٩
فاكس: ٢٥٧٦٤٢٧٦ (٢٠٢)

الطباعة والتنفيذ
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة، بل تعبر عن رأي المؤلف وتوجهه في المقام الأول.

حقوق الطبع والنشر محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب.
يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن كتابي من الهيئة المصرية العامة للكتاب، أو بالإشارة إلى المصدر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾

[سورة البقرة: الآية ١٤٣]

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،،

فإنه مما لا شك فيه أن الأفكار الدينية المغلوطة تُعَد من أهم الأخطار التي نواجهها على المستوى المحلي والدولي؛ وذلك لأن التطرف الديني في العادة لا يقف عند حد الفكر المتشدد المنطوي على نفسه القابع في زاويته؛ بل سرعان ما يتطور إلى مرحلة فرض الرأي ثم محاولة تطويع المجتمع بأسره قسرًا لهذا الفكر، ولا سبيل له إلا العنف والإرهاب وسفك الدماء كما هو ظاهر في جماعة الإخوان الإرهابية.

وهذه المتوالية التي نُطلق عليها التأسلم السياسي تتشابه وتتكرر، بل تزداد ضراوةً وتأثيرًا وعنفًا بشكل متسارع، ولم يعد المتطرف كما كان سابقًا يطمح إلى حرق نادٍ أو تحطيم ملهًى أو هدم ضريح كما كان يحدث قديمًا؛ بل لم يعد يقف عند حد اغتيال مواطن له رأي ما أو مسئولٍ كبيرٍ.

كل هـذه الأمـور وإن كانـت تحـدث إلا أنها تُمثـل مجردَ خُطواتٍ أوليةٍ فيما يحلم به هؤلاء المتشـددون؛ فقد توسعت طموحات الإرهابيين إلى حد تلقي تمويلات وإقامة جيوش وتسـليح كتائبَ واستقطاب الشـباب وتدريبهم وإعاشتهم ودمجهم في كيانات وميليشيات منظمة.

هذا مع اسـتعمالهم لكافة وسـائل التكنولوجيـا الحديثة مـن تصوير وعـرض وغزو لوسـائل التواصـل الاجتماعي لبث فكرهم المتطرف وجذب المزيد من الشـباب المتحمس لدفعهـم إلى أتون الحروب والعمليـات الانتحارية؛ فتحوَّل التطـرف والإرهاب من ظاهـرة فردية عشـوائية إلى ظاهرة جماعيـة منظَّمَـة تدخـل في تحالفات دوليـة لا تراعـي البعد الأخلاقـي ولا الإنسـاني فضـلًا عـن الديني. ولا شـك أن هذا التطور قد تسـبب في إيجاد حالة من عدم الاسـتقرار في العديد من دول المنطقة العربية.

إن السـبيل إلى مواجهـة هذه الأفعال الهدامـة التي تُؤثر في اسـتقرار البشرية وتؤخر التطور الإنساني إنما هو التعاون والتكاتـف بـين الجميع، وأن تقـوم كل دولة متحضرة وكل جهـة حكوميـة ومؤسسـة دينيـة ومنظمة دوليـة بدورها في تشـخيص مشـكلة التطرف والإرهاب وبناء برامج الوقاية

منها، ووضع الآليات المناسبة لمواجهتها واتخاذ الإجراءات الحاسمة والرادعة تجاه الدول التي تدعم وتمول وتحمي تنظيمات التطرف والإرهاب.

ولعل من أهم آليات مواجهة ظاهرة التطرف والإرهاب هي المواجهة الفكرية، فينبغي على المؤسسات المعنية خوض مواجهة جادة مؤسسة على رؤية عميقة ودراسات دقيقة بطريقة علمية حديثة وردود منهجية تتجاوز مرحلة الشجب والخطابة إلى مرحلة الرصد والتحليل ومتابعة تطور هذه الأفكار المتشددة من جذورها التاريخية والاجتماعية حتى وصلت إلى هذا الحد من الشراسة والعنف، ولعل المؤسسات الدينية من أولى المؤسسات التي ينبغي أن تُعنى بهذه المواجهة.

إن المواجهة الفكرية الجادة سوف تقضي على ظاهرة التطرف والإرهاب من جذورها، وتدعم جهود الاستقرار الأمني والسياسي والاقتصادي في كافة دول المنطقة العربية، وسوف توفر علينا كثيرًا من الخسائر في الدماء والأرواح التي تزهق في المواجهات الأمنية أو في العمليات الإرهابية.

إضافة إلى ما سوف تؤدي إليه من دفع عجلة التنمية والإصلاح الاقتصادي الذي يعود بالرخاء على الشعوب والأفراد.

وفي هذا السياق كانت الأمانة العامة لدور وهيئات الإفتاء في العالم من أهم المؤسسات التي سارعت منذ بداية نشأتها للمواجهة الفكرية للتطرف والإرهاب، وواكبت تزايد وتيرة العنف وارتفاعها في المنطقة، واستخدمت وسائل التكنولوجيا الحديثة سواء على نطاق الوقاية أو كوسيلة للعلاج.

واعتمدت الأمانة العامة الأساليب العلمية والمنهجية كوسيلة فاعلة في هذه المواجهة الفكرية، ومن ضمن أساليبها الرصد والإحصاء العلمي الدقيق الذي يرصد الفتاوى التكفيرية والمتشددة وآثارها في العالم كله من خلال متابعة ما يدور في وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي والمواقع الإلكترونية، وإطلاق المنصات الإلكترونية المتعددة للرد على شبهات هذه الجماعات بأساليب مختلفة.

لقد وضعت الأمانة العامة استراتيجية وافية لمكافحة التطرف والإرهاب تستهدف تجفيف منابع التطرف ومحاصرته ومنعه من الانتشار من خلال برامج تربوية وتنموية وإجراءات قانونية واجتماعية، ويتم تنفيذ ذلك كله عبر آليات ووسائل متنوعة.

إن الأمانة العامة قد أُنشئت كمظلة جامعة للمؤسسات الإفتائية في العالم؛ وجعلت من أهم أهدافها تكتيل هذه المؤسسات لبناء حائط صد ضد هذه الأفكار الهدامة؛

فاعتمدت المبدأ المؤسسي الجماعي وانضوى تحت لوائها أكثر من خمسين عضوًا ومؤسسة عاملة في مجال الإفتاء، فعقدت مؤتمراتها العالمية على مدار ستة أعوام، وكان من أهم محاور ونتائج ومشروعات هذه المؤتمرات ما يتصل بمواجهة الأفكار المتطرفة.

وسعت الأمانة العامة بخطة علمية منهجية إلى تفكيك مفاصل الفكر المتشدد من جذوره المرجعية، وأثمرت هذه الجهود عن إصدار موسوعة علمية بعنوان «دليل المسلمين إلى تفنيد أفكار المتطرفين» كأول موسوعة تتناول -وبجرأة- نقد أفكار التكفير التي اعتمدتها معظم هذه التنظيمات.

لقد أدركت الأمانة العامة لدور وهيئات الإفتاء في العالم من موقع المسئولية الدينية والوطنية أن خطر الإرهاب لا يقتصر ضرره على الصعيد المحلي، وإنما يمتد تأثيره السلبي إلى استقرار وأمن دول المنطقة بأسرها، وأن هذا الخطر ما هو إلا نتيجة طبيعية للإهمال والاستهانة لسنوات طويلة بمقاومة هذا الفكر، ومن ثَم فقد سعت الأمانة العامة إلى إعداد برامج تدريب للعلماء والمفتين والدعاة على مستوى العالم لكي تؤهل هذه الكوادر لمواجهة هذا الفكر على مستوى العالم، وكان لتخريج هذه الكوادر أثره الفعال في مواجهة الفكر المتطرف على مستوى العالم.

ولم تقتصر الأمانة العامة على التدريب المباشر بل خصصت في خطة برامجها التدريبية عن بُعد عدة برامج خاصة بمواجهة الأفكار المتطرفة وآليات الوقاية منها.

وفي هذا السياق وضعت في خطتها ترتيبات لتنظيم قوافل خارجية لدول العالم تسعى لتفكيك الأفكار المتطرفة ومواجهتها.

وفي مجال الفضاء الإلكتروني طورت الأمانة العامة العديد من الصفحات المتخصصة باللغة العربية واللغات الأجنبية لتشخيص ومواجهة التطرف والإرهاب، من أهمها صفحة «داعش تحت المجهر» باللغات المختلفة.

كما تم تدشين «مركز سلام لمكافحة التطرف» إيمانًا بأهمية المواجهة الفكرية للتطرف. وقد مثَّلت رسالته انعكاسًا لرؤية الدولة المصرية ومؤسساتها الفاعلة في المواجهة الشاملة للفكر المتطرف والمنحرف عبر بوابات تجديد الخطاب الديني.

وفي هذا الإطار تأتي الطبعة الثانية من «الدليل المرجعي لمواجهة التطرف» كأول دليل شامل لفهم التطرف وتشخيصه ومعرفة تاريخ الفكر المتطرف والوقوف على تاريخ واستراتيجيات مواجهته المختلفة؛ لينطلق إلى وضع استراتيجية عامة تسعى لضم سائر الجهود والاستفادة بجميع الطاقات كلٍّ في موضعه.

وختامًا أقول:

إن تأثير الإرهاب على التنمية والاستقرار أصبح أمرًا لا جدال فيه، وكل تهاون في مواجهة هذا الفكر سينعكس سلبًا على حاضرنا ومستقبلنا وعلى شبابنا الذين هم ذخيرة هذا الوطن وأمله في بناء المستقبل والدولة الحديثة.

وإن الأمانة العامة لدور وهيئات الإفتاء في العالم لن تكتفي بما قدمته من برامج وآليات لمواجهة هذا الفكر وَفق العمل المؤسسي المنظم الدقيق الذي تبلور في العديد من الإنجازات الهامة التي تخدم قضايا الإسلام والأمة، بل لن تألو جهدًا في استخدام التراث الإسلامي العريق والأفكار الإنسانية المتحضرة ووسائل التكنولوجيا المعاصرة، ولن تتوانى عن متابعة هذه الأنشطة الهدامة بهدف محاصرتها والقضاء عليها متعاونة في ذلك مع كل مخلص لهذه الأمة ولقضايا الإنسانية جمعاء.

والله من وراء القصد،،،

أ. د. شوقي إبراهيم علام

مفتي الديار المصرية

رئيس الأمانة العامة لدور وهيئات الإفتاء في العالم

الفصل الأول

تحديد المصطلحات وتحرير المفاهيم

تمهيد وتقسيم:

تُمثل المفاهيم أرقى مخرجات العملية الفكرية النظرية، وذلك لأن تلك المفاهيم نتاج مجهود ذهني متواصل ومتتابع أسفر في نهاية الأمر عن بناء متين وصياغة محكمة هي «المفهوم»، وأصبح ذلك «المفهوم» شاهدًا على ديناميكية حركة التفكير، ومحاولات تأسيس وبناء الأنساق العلمية، وهذا ما يُعطي قضية تحرير المفاهيم أهميتها العلمية والفكرية.

وإذا كانت قضية تحرير المفاهيم العامة والمضامين الكلية لها أهميتها بوجه عام، فإنها قد أصبحت إحدى القضايا الضرورية والملحة لدى الأمة الإسلامية على وجه الخصوص، لا سيما مع ما تشهده الساحة الفكرية الإسلامية من اضطراب غير مسبوق في المعايير والمفاهيم، ونحن لا نبالغ إذا ادعينا أن هذا الاضطراب أحد أبرز معاول هدم المشروع الحضاري الإسلامي، لكونه يضرب الفكر الإسلامي في عمقه، ويخلق حالة فكرية مربكة إلى حد كبير.

وإذا استعرضنا الطرح النظري لدعاة التطرف في العقود الأخيرة، نجده دائمًا ما يحاول فرض منظومة مفاهيمية جديدة، تجسد تصوره حول «التوحيد»، و«دار الإسلام»

و«الحاكميـة»، و«الجهاد»، ونحو ذلك، لتمثل تلك المنظومة منطلقاته نحو التأسـيس لمنظومة أفكار مشـوهة أجنبية عن الشريعة الإسلامية، بل وعن كافة الشرائع السماوية.

وفي هـذا الفصـل نسـعى إلى تحريـر مفاهيـم التطـرف والتشـدد والإرهاب، لكون تلك المفاهيم لها أهميتها في فهم ظاهرة التطرف وما يحيط بها، وذلك عبر أربعة مباحث:

المبحث الأول

مدخل إلى فهم التشدد.

المبحث الثاني

مدخل إلى فهم التطرف.

المبحث الثالث

مدخل إلى فهم الإرهاب.

المبحث الرابع

الفرق بين التطرف والتشدد والإرهاب.

المبحث الأول
مدخل إلى فهم التشدد

أولًا: التشدد في اللغة والاصطلاح

التشدد في اللغة:

الشين والدال أصل واحد يدل على قوة في الشيء، وفروعه ترجع إليه. يقال: شدَّ الشَّيْء شدَّةً: قوي وثقل، وشدَّ عليه في الحرب: حمل بقوة، وشدَّ عضده وشدَّ على يده: قواه وأعانه، وشد العقدة: أحكمها وأوثقها، ويقال: شدَّ رحاله: تهيَّأ للسَّفر، وشد مِئْزره: جدَّ واجتهد في العمل.

والشديد والمتشدد: البخيل. قال الله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨] وشدُّ النهار: ارتفاعه، وشدَّه: أي: أوثقه، يَشُدُّه ويَشِدُّه أيضًا، وشد الله ملكه وشدَّده، أي قوَّاه. واشْتدَّ: قوي وزاد، يقال: اشتدَّ مرضه واشتد به المرض واشتد عليه في الأمر، واشْتدَّ السِّعر: ارْتفع وغلا. فالتشديد: خلاف التخفيف[1].

التشدد في اصطلاح الشرع:

لم يجر مصطلح «التشدد» في عرف الشرع على وتيرة واحدة، وإنما ورد استعماله من قِبَل علماء الشريعة بإزاء مدلولين:

المعنى الأول لمفهوم التشدد:

وهو المعنى المقبول لمصطلح التشدد، والمراد به المبالغة في الاحتياط للدين، والأخذ بالعزائم في خاصة نفس الشخص والحرص على إقامته الشرع في خاصة نفسه، وقد ورد ذلك في قول أبي قتادة رضي الله عنه، قال: «يا ابن آدم إن كنت تريد ألا تأتي الخير إلا عن نشاط، فإن نفسك إلى السآمة والفتور والملل أقرب، ولكن المؤمن هو المتوقي، والمؤمن هو المتشدد»[٢]. ومراده الصلب في أمر دينه المحتاط له في حفظه ورعايته.

وروي عن عبد الله بن عباس، أن عمر بن الخطاب كان يسأل المهاجرين عن هذه الآية، ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ﴾ [النصر: ١، ٢] فيم نزلت؟ فقال بعضهم: «أمر الله نبيه ﷺ إذا رأى الناس ودخولهم في الإسلام، وتشددهم في الدين أن يحمد الله ويستغفره»[٣].

فالتشـدد في الديـن هنـا ليـس المراد بـه التنطـع والغلو، ونحـو ذلك مـن المعاني التي نهـى عنها الشـارع، وإنما المراد ذات المدلـول الـذي عنـاه أبـو قتـادة في الأثـر السـابق مـن التمسك بشعائر الدين، والاحتياط فيه.

وفي إطـار ذلـك يُفهم مـا نقل عن تشـدد عبد الله ابن عمر ﷺ، فإنه كان يُؤْثَر عنه الأخذ بالشـدائد والمبالغة في تقفـي أثر النبـي ﷺ، ومن ذلك تيممـه بضربتين: ضربة للوجه وضربة لليدين، ونحو ذلك[٤].

ولذلك لمـا أراد أبو جعفر المنصور من الإمام مالك جمع الموطأ قال للإمام مالك: تجنب فيه: «شدائد ابن عمر».

المعنى الثاني لمفهوم التشدد:

وهـو المعنى المشـهور المتبادر إليه في لسـان الشرع، وهو بمعنـى التعمق والتعنت والتنطع في الديـن، والنزوع إلى ما يناقـض التخفيف والتيسـير. فهو في حقيقتـه يدل على عدم التوازن والاعتدال في فهم الدين وتطبيقه، والغلو في معاملة النفس والأهل والناس[٥].

ومن ذلك قوله ﷺ: «لا تشـددوا على أنفسـكم فيشـدد عليكـم، فإن قومًا شـددوا على أنفسـهم فشـدد الله عليهم،

فتلك بقاياهم في الصوامع والديار ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ﴾ [الحديد: ٢٧]».

وقال ﷺ: «إن الدين يسر، ولن يشاد أحدٌ الدينَ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة»(٧).

فالتشدد هنا فعل مذموم شرعًا، طلب الشارع تجنبه وحذر منه ومن مآلاته، وما يفضي إليه من العنت والتفلت من الدين.

يقول ابن حجر في بيان المراد بحديث النهي عن التشدد: «والمشادة بالتشديد المغالبة يقال: شاده يشاده مشادة إذا قاواه، والمعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب. قال ابن المنير: في هذا الحديث علم من أعلام النبوة فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة فإنه من الأمور المحمودة بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة أو إلى أن خرج الوقت المختار أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة»(٨).

والفرق بين التشدد بمدلوله المقبول وبين التشدد المنهي عنه، أن الأول هو في حقيقته بمعنى الاحتياط المقبول في الدين، بخلاف التشدد الذي يعد تعنتًا ومغالاة لا مبرر شرعي لها؛ فكل تشدد في غير موضع التشديد يعدُّ من التنطع المذموم، وما جعل الله فيه سعة ومجالًا لاختلاف العلماء وتعدد اجتهاداتهم لا يكون موضًعا للتشديد والإنكار، ولهذا تقرر في قواعد الفقه أنه: (لا ينكر المختلف فيه، وإنما ينكر المجمع عليه)[٩].

يقول ابن تيمية: «وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «هلك المتنطِّعون» قالها ثلاثا أي: المشدِّدون في غير موضع التشديد»[١٠]

- **التمسك بشعائر الدين**
- **المغالاة بلا مبرر**
- **التشدد المحمود**
- **التشدد المذموم**
- **الاحتياط للدين**
- **التنطع والغلو**

ثانيًا: نماذج عملية من التشدد قديمًا وحديثًا

أولًا: نماذج عملية من التشدد قديمًا:

إن التشدد المذموم بمعناه الاصطلاحي ظاهرة قديمة، وقد أشار القرآن إلى أنها كانت ظاهرة فاشية في الأمم السابقة، وأنها كانت سببًا مباشرًا لجلب الشقاوة والعسر عليهم، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧].

وأشار إلى ذلك النبي ﷺ في تحذيره هذه الأمة من التشدد، وعدم الوقوع فيما أخطأت فيه الأمم السابقة من إيغالهم في التنطع والتشدد والغلو، فقال: «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم، فإن قومًا شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار».

- ومن نماذج التشدد القديمة قصة أصحاب البقرة التي قصها القرآن الكريم، فهي تدل على تشدد وتعنت بني إسرائيل عندما أمرهم الله تعالى بذبح بقرة، وكان عليهم الامتثال لما أُمروا به إلا أنهم أبوا ذلك، وآثروا التنطع والتشدد في طلب مواصفات البقرة، وكلما بُلِّغوا بوصف شددوا على أنفسهم بطلب وصف زائد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا

قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [البقرة: ٦٧ - ٧١].

يقول الطبري: «وإن كانوا قد قالوا - بقولهم: الآن بينت لنا الحق - هراء من القول، وأتوا خطأ وجهلًا من الأمر، وذلك أن نبي الله موسى ﷺ كان مبينًا لهم - في كل مسألة سألوها إياه، وردَّ رادوه في أمر البقرة الحقَّ»[11].

من نماذج التشدد المعاصر:

- تهنئة شركاء الوطن من غير المسلمين بمناسباتهم الدينية.
- الاحتفال بشم النسيم.
- الاحتفال بالمولد النبوي.

- الاحتفال بعيد الأم.
- تحريم فتاوى الاحتفال بعيد الأم.
- من تقارير المؤشر العالمي للفتوى.

فكل ما سـأله بنو إسرائيل بشـأن أوصاف البقرة لم تكن أسـئلة معتـبرة، ولم يقصد بها إلا التشـدد والتعنت، ولذلك يُـروى أن نتيجة تشـددهم أنهم دفعوا مـالًا طائلًا ليحصلوا على بقرة بهذا الوصف[١٢].

ومن نـماذج التطرف القديمة أيضًا: مـا رُصد في العصر النبوي نفسه، كما روي عن أبي برزة الأسلمي قال: خرجت يومًـا أمشي فإذا أنا بالنبي ﷺ متوجهًـا، فظننته يريد حاجة، فجعلت أخنس عنه وأعارضه، فرآني فأشار إلي فأتيته فأخذ بيـدي فانطلقنا نمـشي جميعًا، فـإذا نحن برجـل يصلي يكثر الركوع والسـجود. فقال النبي ﷺ: «أتـراه مرائيًا». فقلت: الله ورسوله أعلم، فأرسل يدي، ثم طبق بين كفيه فجمعهما ثم جعـل يرفعهما بحيال منكبيه ويضعهـما ويقول: «عليكم هديًا قاصدًا»، ثلاث مرات؛ فإنه من يشاد الدين يغلبه[١٣].

وكذلـك في قصة الثلاثة الذين جاءوا إلى بيت النبي ﷺ يسـألون عن عبادته ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا:

وأيـن نحن من النبـي ﷺ؟ قد غفر له ما تقـدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النسـاء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسـول الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصـوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النسـاء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[١٤].

نماذج عملية من التشدد حديثًا:

ومـن نماذج التشـدد في العصر الحاضر: مـا تنتهجه بعض التيـارات التـي تؤصل للغلو والتشـدد في الدين، وتعمل على جعل ذلك سـمة مميزة وشـعارًا لها، كتحريم الاحتفال ببعض المناسـبات التـي قـد يكون الشرع قـد ندب إليهـا كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف، أو لم يأت دليل من الشرع على تحريمها كتحريم الاحتفال بعيد الأم أو شـم النسـيم، ونحو ذلك من الأمور التي سكت عنها الشارع، ولم يقطع بتحريمها.

فإن هـذه التيارات تحـاول من خلال تلك التشـديدات المنهجـة إضفـاء طابع مميز وخاص عـلى منظومتها الثقافية مدعية التمسك بأصول الدين، وهم أبعد ما يكون عن تلك الأصول.

ثالثًا: رأي علماء النفس والاجتماع في التشدد

تقوم العلوم الاجتماعية عمومًا، وعلم النفس الاجتماعي على وجه الخصوص بمشاركة فعَّالة في فهم التشدد من حيث دوافعه وأسبابه، والظروف المجتمعية المحتضنة أو المفرزة له، ونحو ذلك من العوامل التي تساعد في تفكيك تلك الظاهرة وفهمها على نحو جلي، وفي الجملة فإن علم النفس ينظر إلى التشدد بوصفه عَرَضًا رئيسًا للتقدير الخاطئ للذات، فالمتشدد دائمًا إما يشعر بتميز عن المحيطين به، أو يسعى لتحقيق ذلك التميز، أو يخشى من الأصل على ذاته ووجوده، ويسعى للدفاع عنه، فالتشدد وظيفة نفسية يُعملها المتشدد لتحقيق أحد الأغراض الثلاثة السابقة.

فأحيانًا يشعر المتشدد بأن وجوده على المحك، وأنه مختلف عن الآخرين، فيتخذ منهم مواقف حادة، ويجد في الممارسات التشددية وسيلة دفاعية تحفظ وجوده وهويته أمام هذا المجتمع المحيط به[١٥].

ويبرر ذلك أن المتشدد دائمًا ما يملك منظارًا تشاؤميًّا يرى من خلاله هذا العداء الموهوم، ثم يستشعر الخوف على ذاته ووجوده، وفي تجربة قام بها مجموعة من الباحثين في عام ٢٠١٢م أجريت للمقارنة بين مجموعة من أصحاب

الاتجاهـات السياسـية المتشـددة، وآخريـن أكثـر انفتاحًـا، تضمنت تعريضهم لسلسـلة من الصور الإيجابية والسـلبية عـلى شاشـة كمبيوتر مع تسـجيل حـركات أعينهـم؛ فاتَّجه أصحاب الاتجاه المتشدد إلى تأمل الصور المهددة والمزعجة، مثـل حطام السـيارات والإصابات وغيرهـا، وهو ما يطلق عليـه علماء النفس اسـم «التحيز السـلبي» الـذي يقوم على أنه عندما ينحاز الانتباه نحو الجانب السـلبي تكون النتيجة تقييـمًا مفرطًـا للتهديد، ومن هنا ينظـر أصحاب الاتجاهات المتشددة إلى العالم بوصفه مكانًا مخيفًا للغاية[١٦].

وفي أحيـان كثـيرة يرى المتشـدد أنـه مميز عـن المحيطين بـه، ويرى تحقيق ذلك التميز في ممارسـة التشـدد والتعصب للأفـكار أو التعنـت في تقييـم الواجبات المنوطة بـه وكيفية أدائهـا، ومـن ثَم فهم يمارسـون تشـددهم من خـلال فكرة توحـي لهم بأنهـم مختلفون عـن الآخرين وغربـاء عنهم بل وهدفٌ لهم؛ لذلك فهم يمارسـون تشـددهم وينشرونه بكل عزم اعتقادًا منهم أن ذلك سـوف يوفر الحماية لهم، ويضمن لهم ذلك التميز[١٧].

وهذا السـعي إلى التميز أو الاختلاف قد ينشـأ في بعض الأحيـان كرد فعل عكسي للمتشـدد يسـعى مـن خلاله إلى

إثبـات نتيجة معاكسـة لمعطيات الواقـع، بمعنى أن المجتمع الـذي يعيش فيه المتشـدد قـد يعجز عن الوقـوف في موقف النِّـد والقرين لمجتمعـات أخرى حققت طفـراتٍ حضاريةً وتقدمًـا عـلى الجانـب الاقتصـادي والتكنولوجـي ونحـو ذلك، ويتفاقم أثر ذلك نتيجة التماسِّ الكبير بين المجتمعات وظهـور ذلـك الفارق الشاسـع، ممـا يدفع المتشـدد إلى تلك السـلوكيات لإثبات تميزه واختلافه عن غـيره، وأنه ما زال يمتلك من الخصوصية ما يجعله متفردًا عن غيره.

من تقارير المؤشر العالمي للفتوى.

- سعي المتشدد
- إلى التميز أو الاختلاف
- قد ينشـأ في بعض الأحيان كرد فعل عكسي للمتشدد يسـعى من خلاله إلى إثبات نتيجة معاكسـة لمعطيات الواقع.

المبحث الثاني
مدخل إلى فهم التطرف

أولًا: تعريف التطرف لغة واصطلاحًا.

التطرف في اللغة:

الطاء والراء والفاء أصلان: فالأول يدل على حد الشيء وحرفه، والثاني يدل على حركة في بعض الأعضاء، فالطَّرف: النَّاحية من النواحي ويُسْتعمل في الأجسام والأوقات وغيرها. وأطراف الأرض: نواحيها، ومنه قول الله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [سورة الرعد، الآية ٤١]، أي: من نواحيها ناحية ناحية، الواحد: طرف.

وطرَّف الشيء: جعله في الطَّرف أو في النهاية، ويقال: تطرَّف الشيء: أتى الطَّرف، أو أخذه من أطرافه، أي: منتهى الشيء، وتطرَّفت الشمس: أوشكتْ أن تغرب.

والأطْراف من البدن: اليدان والرِّجْلان والرَّأْس. والأطراف: اسْم الأصابع، ورجل طرف وطريف: كثير

الآبـاء إلى الجـدِّ الأكبر، والإطـراف: كثرة الآبـاء، وأطراف الرِّجال: أشرافهم. وأطراف الرجل: أخواله وأعمامه، وكل قريب له محرم.

وطرفْت فلانًا أطرفه: إذا صرفْته عن شيء، وطرفه عنه؛ أي: صرفه وردَّه.

وتطـرَّف في إصـدار أحكامـه: جاوز حـدَّ الاعتدال ولم يتوسَّـط. والتطرُّف: المغالاة السياسـية أو الدينية أو المذهبية أو الفكرية؛ فالمتطرف: صاحب نزعة سياسية أو دينية تدعو إلى العنف[١٨].

مما سـبق يتبين أن المعنى اللغوي لكلمة (التطرف) يدور حول: حد الشيء وحرفه، والابتعاد عن الوسطية، والخروج عـن المألوف، ومجاوزة الحد، والنأي إلى جهة قصوى، فضلًا عن مخالفة الآخرين. بمعنى أن التطرف هو مجاوزة الوسـط بالمغالاة والإفراط في الشيء، أو عن طريق الاعتداء، وتجاوز الحد والابتعاد عـن الصواب وحد الاعتدال، وعدم الثبات في الأمر، وهي كلمة تسـتخدم في الدلالة على كل ما يناقض الاعتدال زيادة أو نقصانًا.

التطرف في الاصطلاح:

يعـدُّ مفهوم التطرف من المفاهيم التي يصعب تحديدها، أو إطلاق تعميمات بشـأنها؛ نظرًا لما يشير إليه المعنى اللغوي

للتطـرف من تجـاوز لحدِّ الاعتـدال. وحد الاعتدال نسـبى يختلـف مـن مجتمـع لآخر وفقًـا لنسـق القيم السـائد في كل مجتمع، فما يعتبره مجتمع من المجتمعات تطرفًا من الممكن أن يكون مألوفًـا في مجتمع آخر، فالاعتدال والتطرف مرهونان بالمتغـيرات البيئية والحضارية والثقافية والدينية والسياسـية التـي يمر بها المجتمع، كما يتفاوت حـد الاعتدال والتطرف مـن زمن لآخـر، فما كان يعـد تطرفًا في المـاضي قد لا يكون كذلك في الوقت الحاضر[١٩].

والتطرف مصطلح لم يعرف في الكتب والمراجع العربية قديمًا بمعناه المنضبط بمعناه الاصطلاحي في الوقت الراهن، وإن كان بعض العلماء قديمًا استخدموا كلمة التطرف الديني عـلى القائل المخالف للشرع، وعـلى القول المخالف للشرع، وعلى الفعل المخالف للـشرع، فهو فهم النصوص الشرعية فهـمًا بعيدًا عن مقصود الشـارع وروح الإسـلام؛ فالتطرف في الديـن هـو الفهـم الـذي يـؤدي إلى إحـدى النتيجتـين المكروهتـين، وهما الإفـراط أو التفريط. والمتطرف في الدين هو المتجاوز حدوده والجافي عن أحكامه وهديه، فكل مغالٍ في دينه متطرف فيه مجافٍ لوسطيته ويسره.

وبنظرة أشـمل لمفهوم التطرف نجد أنه كل ما يؤدي إلى الخروج عـن القواعد الفكرية والقيم والمعايير والأسـاليب

السلوكية الشائعة في المجتمع، معبرًا عنه بالعزلة أو بالسلبية والانسحاب، أو تبني قيم ومعايير مختلفة قد يصل الدفاع عنها إلى الاتجاه نحو العنف في شكل فردي أو سلوك جماعي منظم، بهدف إحداث التغيير في المجتمع وفرض الرأي بقوة على الآخرين[٢٠].

والتطرف وفقًا للمفاهيم الثقافية والفكرية قد يتحول من مجرد فكر إلى سلوك ظاهري أو عمل سياسي، قد يتحول إلى إرهاب باللجوء إلى استخدام العنف وسيلة إلى تحقيق المبادئ التي يؤمن بها الفكر المتطرف، أو اللجوء إلى الإرهاب النفسي أو المادي أو الفكري ضد كل ما يقف عقبة في طريق تحقيق تلك المبادئ والأفكار التي ينادي بها هذا الفكر المتطرف.

فالتطرف ثورة على الواقع يقوم بها الشخص الذي يعاني نقصًا في إشباع حاجاته النفسية، وعدم قدرته على تحقيق ذاته في جماعاته الأصلية، وعدم وجود مغزى أو قيمة لحياته، مما يدفعه إلى الانتماء إلى جماعة متطرفة كي يحقق ذاته[٢١].

مما سبق يمكن تعريف التطرف في الشريعة بأنه:

- الخروج عن المألوف عقديًّا المصحوب بالغلو في الدين، والتجاوز في الفكر أو المذهب أو العقيدة عن الحدود

المتعارف عليها من قِبَل الجماعة، والتعصب لرأي واحد أو استنتاج خاطئ، والمبالغة في السلوك الناتج عن هذا التعصب[٢٢].

- أو: هـو الغلو والتنطـع في قضايا الـشرع، والانحراف المتشدد في فهم قضايا الواقع والحياة[٢٣].
- أو: هـو الغلـو في عقيـدة أو فكـرة أو مذهـب أو غيره يختص به دين أو جماعة أو حزب[٢٤].

والمتطرف في الإسـلام: هـو كل من تجاوز حدود الشرع وأحكامه وآدابه وهديه، فخرج عن الاعتدال ورأي الجماعة إلى ما يعدُّ شاذًّا شرعًا وعرفً[٢٥].

ويلاحظ أن التطرف اصطلاحًا يشـير إلى الابتعاد بشدة عـما هو منطقي أو معقـول أو مقبول، كالتطـرف في الرأي، وتشـير كلمـة التطـرف إلى أي ناحيتين تكونـان متناقضتين ومتباعدتين في المسافة عن بعضهما البعض؛ مثل انفعال الألم والسرور[٢٦].

ثانيًا: صور من التطرف قديمًا وحديثًا

ذخر التاريخ بالعديد من النماذج والصور التي تعبر عن التطـرف الفكري، وما زالت تلك الصـور والنماذج تتجدد

إلى الوقت الحالي، ومن أبرز نماذج التطرف الفكري عبر التاريخ:

- التطرف العنصري لدى كثير من اليهود في تكريس مبدأ (شعب الله المختار): والذي حاول العديد من العلماء اليهود إرساءه في نصوص لها قوتها التشريعية كنصوص التلمود، والتأكيد على أفضلية الجنس اليهودي على سائر الأجناس البشرية، وأن سائر شعوب الأرض تُشتق نفوسهم من الشيطان، فهي مشابهة لنفوس الحيوانات والجماد، بخلاف اليهود، وبناء عليه فإن الشعب المختار وحده يستحق الحياة الأبدية، أما الشعوب الباقية فمماثلة للحيوانات[٢٧].

- ومن صور التطرف التاريخية: التطرف المترتب على قضية الإمامة، ومستحقها، فتلك القضية خلقت إرباكًا فكريًّا كبيرًا، ودفعت فرقًا وطوائف إلى اتخاذ مواقف في غاية التطرف تجاهها، فعلى سبيل المثال اتخذ الخوارج موقفًا مناهضًا للأئمة أو للحكام المسلمين طوال تاريخهم، وأطلقوا الأحكام بتكفيرهم وعدم أحقيتهم بالحكم والولاية، وتطرفوا في فهم النصوص الشرعية وتأويلها وإسقاطها على من لا يصلح محلًّا لها، فناصبوا المسلمين

العـداء وخرجـوا عـن جماعة المسـلمين، وترتـب على ذلك سفك الكثير من الدماء.

وعـلى ذات النسـق تطـرف الشـيعة الإماميـة في فهـم النصـوص وفي مكانـة علي بن أبي طالـب رضي الله عنه وآل البيـت، فرفعوهم إلى مكانة الأنبيـاء والمعصومين، وناصبوا كل من لم يتفق معهم في نظرتهم المتطرفة العداء، وكان ذلك التطـرف ممهدًا لحقبة زمنية تعج بالصراعات والحروب التي تكبدت فيها الأمة الإسلامية خسائر فادحة.

- ومـن الصـور الحديثـة للتطـرف العرقـي تحديـدًا: التطـرف النـازي، الـذي ذهـب منظِّـروه إلى أفضليـة عرق عـلى عـرق، وتبنوا أفكارًا عنصرية متشـددة تجـاه الأجناس والأعـراق الأخرى، وشرعنوا اسـتعمال العنـف والقوة في قمع واضطهاد تلك الأجناس.

- ومن النماذج المعاصرة أيضًا للتطرف الفكري: ما تبنَّته العديد مـن الجماعات والتنظيمات المتطرفـة، من فهم موجه للنصـوص الشرعية، وتأصيل لمجموعة من المبادئ المخالفة لمقاصد الشريعـة، والتي تقف في مواجهـة المجتمع والأمة، تحقيقًا لمصالحها وتمكينها من الحكم والسـيادة، ويظهر ذلك جليًّـا في فكر جماعـة الإخـوان الإرهابية وكتابـات منظِّريها كسيد قطب وغيره من أقطابها.

وذلـك الفهـم الخاطـئ الموجـه نتـج عنـه عـدة مفاهيم متطرفـة وقضايـا شـائكة؛ كالتكفـير، والخلافـة، والبيعـة، والـولاء والـبراء، والحاكمية وغيرها، وسـوف نناقش تلك القضايا بالتفصيل في الفصل الثاني من الباب الثامن.

نماذج من أشهر المتطرفين في العصر الحديث

سيد قطب = توفي سنة ١٩٦٦م

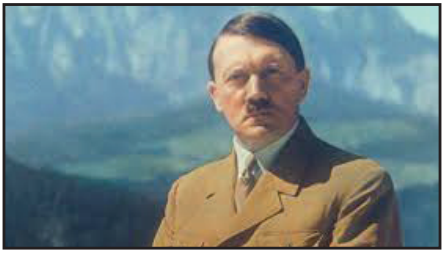

أدولف هتلر = توفي سنة ١٩٤٥م.

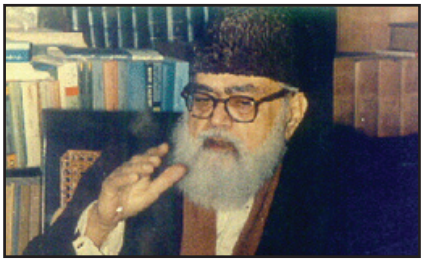

أبو الأعلى المودودي = توفي سنة ١٩٧٩م

الحاخام اليهودي مائير كاهان = توفي سنة ١٩٩٠م

ثالثا: التحليل النفسي والاجتماعي لظاهرة التطرف:

لا يُظهر المتطرف تطرفه مرة واحدة، بل يحاول عبر أقنعة متعددة جذب وتجنيد مستهدفيه، وهكذا يطرح نفسه داعية ورسولًا لإصلاح العالم والأمة، كما يطرح ما يؤمن به حلًّا جذريًّا لكل مشكلات الحياة الخاصة والعامة، ولكن بعض التأمل يكشف زيف وأزمات ما يدعو إليه[٢٨].

وقد نظر جملة كبيرة من علماء النفس والاجتماع إلى التطرف وخاصة التطرف الأيدلوجي (الفكري) -الذي يعد أخطر أنواع التطرف وأكثرها تأثيرًا- على أنه نتيجة لتولد مجموعة من القيم المضادة لمنظومة القيم والأعراف السائدة، والتي يقع المتطرف تحت تأثيرها وينقاد لمبادئها وأخلاقياتها، وهذه المنظومة المضادة تنشأ من الأساس بعد تنامي حالة الاغتراب لدى المتطرف بينه وبين النسق أو البناء الاجتماعي في مجتمعه.

ولا شك أن تلك الحالة الاغترابية تترسخ داخل وجدان المتطرف تدريجيًّا لعدة أسباب متفرقة أو مجتمعة، يعود بعضها لاضطراب نفسي يعاني منه المتطرف كشعوره بالدونية أو اختلال اندفاعاته الوجدانية، والميل الانطوائي، وتكرس التعصب والسلطوية في نفسه، فالمتطرف شخص متسلط، يميل إلى ممارسة ذلك التسلط من خلال اعتناقه لفكر متطرف، وتبني ذلك الفكر لما يضمنه له ذلك النسق الفكري من علو على غيره.

وكما يميل المتطرف إلى التسلط فإنه يفتقد مهارة التفكير التحليلي، ويميل دائمًا إلى تجنب الغموض والعمليات العقلية المعقدة، ولعل ذلك من أسباب تبني الجماعات المتطرفة

للخطاب السهل والخيارات البسيطة التي تدعم بشكل كبير شعبوية خطابهم، واجتذابهم لعدد من الشباب[٢٩].

وقد تكون الأسباب اجتماعية تتعلق بأساليب التنشئة الاجتماعية أو النمطيات السلبية، أو غير ذلك، وتلك الأسباب في مجملها تعزز من شعور المتطرف بحالة صدامية مع مجتمعه ومع العالم بأسره، ويميل إلى التفسير الأحادي، والنظر العدائي للآخر بوجه عام[٣٠].

وتلك العملية الديناميكية المتدرجة لترسيخ الخطاب والفكر المتطرف تعمل بحيث يتقبل الفرد العنف الإرهابي باعتباره مجرى عمل ممكن، أو شرعي، وقد يؤدي هذا في النهاية -ولكن ليس بالضرورة- إلى دفع هذا الشخص نحو الدفاع عن الإرهاب أو العمل به أو دعمه له[٣١].

وعلى كل حال فإن المقاربات المتعددة التي هدفت إلى تفسير ظاهرة التطرف في سياق معين لا يمكن أن تحقق هدفها من تفسير الظاهرة على نحو كاشف لأبعادها الحقيقية إلا إذا وضع في الاعتبار كافة الاتجاهات المراعية للذاتية والعوامل الخارجية في آن واحد؛ لأن التطرف في حقيقته أكثر تركيبًا وتعقيدًا من أن يفهم في ضوء بُعد ذاتي منفصل عن العوامل الخارجية أو العكس[٣٢].

المبحث الثالث
مدخل إلى فهم الإرهاب

أولًا: تعريف الإرهاب لغة واصطلاحًا

الإرهاب لغة:

الـراء والهـاء والباء أصـلان: أحدهما يـدل على خوف، والآخر عـلى دقة وخفة، يقـال: رهِبَ يَرهَب، رَهْبًـا ورَهَبًا ورَهْبَـةً ورُهْبًـا، فهـو راهـب، والمفعول مرهـوب، ورهِب الشـخص: خـاف، ورَجُـل مرهـوب الجانب: يُخْشـى منه، يرهبُـه النـاس ويخافونـه. والرهبـةُ: الخوف، وهـو الرهْبُ والرهَـبُ، والإرهـاب: الإخافـة، وأرهـب فلانًـا: خوَّفـه وأفزعه. واسترهب فلانًا: أرهبه، خوَّفه وأفزعه.

والإرهـاب: مصدر أرهب، وهو مجمـوع أعمال العنف التـي تقوم بها منظمة أو أفراد قصد الإخـلال بأمن الدَّولة، وتحقيـق أهـداف سياسـيَّة أو خاصَّـة أو محاولـة قلـب نظام الحكم. والإرهاب الدولي: أعمال ووسـائل وممارسات غير مُـبرَّرة، تمارسـها منظمات أو دول، تسـتثير رعـب الجمهور

أو مجموعة من الناس لأسباب سياسية بصرف النظر عن بواعثه المختلفة.

فالإرهاب بصفة عامة وصف يُطلق على من يسلك سبيل العنف، لتحقيق أهداف سياسية أو خاصة، والحكم الإرهابي: حكم يقوم على إرهاب الشَّعب واستعمال العنف لكبت حريته[٣٣].

وبالنظر فيما سبق من معاني مادة «رهب» وبعض ما تفرع عنها يتضح أنها تعني: الخوف، وهو ما يعني الإمعان في الهرب من المكروه، وقد يكون هذا الهرب بالكف عن فعل ما ينتج عنه مكروه أو ببذل الأسباب التي تمنع حدوثه، وأما «أرهب»، فتعني: قصد التخويف والإفزاع والترويع، من قوة تفوق قوة ذات المخوف أو المروع، فهو حالة من تسليط عناصر خارجية تتسبب في ضعف داخلي يعتري الإنسان، فيجبره على التخلي عن شيء من اختصاصه، أو عن شيء يحبه[٣٤].

وقد أقر «مجمع اللغة العربية» في القاهرة استخدام كلمة الإرهاب بوصفه مصطلحًا حديثًا في اللغة العربية أساسه (رهب) بمعنى خاف، وأوضح المجمع: «أن الإرهابيين وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف لتحقيق أهدافهم السياسية»[٣٥].

الإرهاب اصطلاحًا:

صـار التعريف الاصطلاحـي للإرهاب محـل اختلاف وتبايـن في وجهـات النظـر، وفيما يـلي بيان أهـم التعريفات الواردة فيه:

- عرفه المجمع الفقهي الإسلامي بأنه: «العدوان الذي يمارسـه أفـراد أو جماعـات أو دول بغيًا على الإنسـان -دينه ودمه وعقله وماله وعرضه- كما أكد العلماء أن تعريف الإرهاب يشـمل صنـوف التخويف والأذى والتهديـد... ويهـدف إلى إلقاء الرعب بـين الناس أو ترويعهـم أو تعريـض حياتهـم أو حريتهـم أو أمنهم للخطر»[٣٦].

- وعرَّفت الموسوعة السياسية الإرهاب بأنه: «استخدام العنف غير القانوني أو التهديد به أو بأشكاله المختلفة؛ كالاغتيال والتشـويه والتعذيب والتخريب والنسف وغيره بغية تحقيق هدف سياسي معين... وبشكل عام استخدام الإكراه لإخضاع طرف مناوئ لمشيئة الجهة الإرهابية»[٣٧].

- وفي معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية عرف بأنه: «بث الرعب الذي يثير الجسـم أو العقل، أي الطريقة

التي تحاول بها جماعة منظمة أو حزب أن يحقق أهدافه عن طريق استخدام العنف، وتوجه الأعمال الإرهابية ضد الأشخاص، سواء كانوا أفرادًا أو ممثلين للسلطة، ممن يعارضون أهداف هذه الجماعة»[٣٩].

- والإرهاب عند الأمم المتحدة يقصد به: «أعمال العنف الخطيرة التي تصدر من فرد أو جماعة بقصد تهديد الأشخاص أو التسبب في إصابتهم أو موتهم، سواء كان يعمل بمفرده أو بالاشتراك مع أفراد آخرين، ويوجه ضد الأشخاص أو المنظمات أو المواقع السكنية أو الحكومية أو الدبلوماسية أو وسائل النقل والمواصلات، وضد أفراد الجمهور العام دون تمييز، أو الممتلكات، أو تدمير وسائل النقل والمواصلات بهدف إفساد علاقات الود والصداقة بين الدول، أو بين مواطني الدول المختلفة، أو ابتزاز أو تنازلات معينة من الدول في أي صورة كانت. لذلك فإن التآمر على ارتكاب أو محاولة ارتكاب أو الاشتراك في الارتكاب أو التحريض على ارتكاب الجرائم يشكل جريمة الإرهاب الدولي»[٤٠].

وبالنظر إلى التعريفات السابقة نجد أن القاسم المشترك بينها هو استخدام العنف والقوة والغدر؛ حيث إن الجميع يتفق على أن الإرهاب هو الاستعمال المطلق للعنف والقوة

تجاه المدنيين أو غيرهم في غير حال الحرب المعلنة بين طرفين بهدف بث الرعب دون إنذار سابق.

ورغم ذلك لا يمكن القول إن هناك اتفاقًا بشأن تعريف الإرهاب، الأمر الذي يحتم العودة إلى التشريع الوطني والاحتكام إليه، فقد عرف المقنن المصري الإرهاب كما نصت المادة (٨٦) المضافة إلى القانون ٩٧ لسنة ١٩٩٢م بما يأتي: «يقصد بالإرهاب في تطبيق أحكام هذا القانون كل استخدام للقوة أو العنف أو الترويع، يلجأ إليه الجاني تنفيذًا لمشروع إجرامي، فردي أو جماعي، بهدف الإخلال بالنظام العام أو تعريض سلامة المجتمع وأمنه للخطر، إذا كان من شأن ذلك إيذاء الأشخاص أو إلقاء الرعب بينهم، أو تعريض حياتهم أو حرياتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة، أو بالاتصالات أو المواصلات أو بالأموال أو بالمباني، أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو منع أو عرقلة ممارسة السلطات العامة أو دور العبادة أو معاهد العلم لأعمالها، أو تعطيل تطبيق الدستور أو القوانين أو اللوائح»[٣٨].

وفي قانون مكافحة الإرهاب رقم ٩٤ لسنة ٢٠١٥م تم تعريف العمل الإرهابي بأنه كل استخدام للقوة أو

العنف أو التهديد أو الترويع في الداخل أو الخارج، بغرض الإخلال بالنظام العام أو تعريض سلامة المجتمع أو مصالحه أو أمنه للخطر، أو إيذاء الأفراد أو إلقاء الرعب بينهم، أو تعريض حياتهم أو حرياتهم أو حقوقهم العامة أو الخاصة أو أمنهم للخطر، أو غيرها من الحريات والحقوق التي كفلها الدستور والقانون، أو الإضرار بالوحدة الوطنية أو السلام الاجتماعي أو الأمن القومي، أو إلحاق الضرر بالبيئة، أو بالموارد الطبيعية أو بالآثار أو بالأموال أو الأصول الأخرى أو بالمباني أو بالأملاك العامة أو الخاصة، أو احتلالها أو الاستيلاء عليها، أو منع أو عرقلة السلطات العامة أو الجهات أو الهيئات القضائية أو مصالح الحكومة أو الوحدات المحلية أو دور العبادة أو المستشفيات أو مؤسسات ومعاهد العلم، أو البعثات الدبلوماسية والقنصلية، أو المنظمات والهيئات الإقليمية والدولية في مصر، من القيام بعملها أو ممارستها لكل أو بعض أوجه نشاطها، أو مقاومتها، أو تعطيل تطبيق أي من أحكام الدستور أو القوانين أو اللوائح.

وكذلك كل سلوك يرتكب بقصد تحقيق أحد الأغراض المبينة بالفقرة الأولى من هذه المادة، أو الإعداد لها أو التحريض عليها، إذا كان من شأنه الإضرار بالاتصالات أو

بالنظـم المعلوماتية أو بالنظم المالية أو البنكية، أو بالاقتصاد الوطنـي أو بمخزون الطاقة أو بالمخزون الأمني من السـلع والمواد الغذائية والمياه، أو بسـلامتها أو بالخدمات الطبية في الكوارث والأزمات.

ثانيًا: نماذج عملية من الإرهاب قديمًا وحديثًا

إن العـالم لم يسـتيقظ فجـأة ليتفاجـأ بوجـود ما يسـمى بالإرهـاب بعد أحداث الحادي عشر من سـبتمبر ٢٠٠١م، أو غيرها من العمليات الإرهابية المزلزلة؛ فالإرهاب ظاهرة قديمـة مقارنـة للوجود الإنسـاني، والعلاقة بـين الإرهاب وبين الوجود الإنسـاني علاقة تتسـم بالتـلازم إلى حد كبير، فاسـتخدام العنـف والعمليـات الإجراميـة لنـشر الفوضى والرعـب والتخريب أحد الوسـائل التي لم ينفك الإنسـان عـن اسـتخدامها لتحقيـق أهدافه، وإشـباع رغباتـه، وعلى الرغم من الاختلاف الكبير بين الإرهاب القديم والإرهاب الحديث نتيجة لتطـور الأدوات والآليات والتكتيكات، إلا أن الإرهاب ظاهرة متجـذرة تاريخيًّا، وقد وجدت كثير من النصوص التاريخية القديمة تشير إلى وجود العنف...

– فقـد أكـدت بعـض الكتابـات المصرية عـلى الصراع الكبـير بـين الكهـان وأفـراد المجتمـع، ورسـمت صـورة

مروعـة في العهـد الفرعـوني عن ذلك الصراع، واسـتخدام أسـاليب إرهابية فيه، ويمكن القـول إن عهد الجمهوريات اليونانيـة والرومانيـة هـو بدايـة لـبروز الظاهـرة الإرهابية التكفيرية؛ ففي عهد أثينا القديمة كانت محاورات الفلاسفة تتجـاوز حـدود المناقشـات إلى أفعال الخـوف والفزع، وفي ضـوء المفهـوم التقليـدي للإرهاب يرى البعـض أن اغتيال الإمبراطـور (يوليـوس قيصر) واغتيالات الملـوك في العهد الآكـدي والبابلي مثلًا مـن أمثلة الإرهاب التـي تنطبق على اغتيال رئيس دولة في العصر الحديث.

– وتعتبر حركة السيكاري أول حركة إرهابية في التاريخ، وهي تمثل مرحلة جديدة في انتقال الإرهاب من ممارسة فردية يقـوم بها بعـض الأفراد لأهداف معينـة إلى ظاهرة تمارس من قِبَـل حـركات منظمة، وهـي حركـة يهودية سياسـية متطرفة ظهـرت في القـدس، وتتكون مـن مجموعة من اليهـود الذين وفدوا إلى فلسـطين في نهاية القرن الأول الميلادي، وأسـاليب عملهـا بث الرعب بين صفوف الناس من خلال القيام بتنفيذ عمليـات في المناطـق المزدحمة حيـث كانوا يضربـون عدوهم بسـيوف قصيرة تسـمى (سـيكا)، والتي اسـتمدوا منها اسم منظمتهـم، وكانوا يخبئونها تحت عباءاتهـم لتنفيذ عملياتهم في وضح النهار وفي الاحتفالات العامة[٤١].

– ومن أبرز صور الإرهاب في العصور الوسطى، محاكم التفتيش التي تعتبر أحد أساليب الإرهاب المقننة، والتي استُعملت من قبل السلطة الحاكمة فعليًّا آنذاك (الكنيسة الكاثوليكية)، والتي أنشئت بغرض محاكمة المتهمين عقديًّا، أو المخالفين لما عليه الكنيسة الكاثوليكية سواء كانوا من المسيحين البروتستانت أو المسلمين، أو غيرهم مِنْ كل مَنْ يتهم بحسب الكنيسة بالإلحاد والهرطقة، وكانت تلك المحاكم تستعمل أقصى أنواع التعذيب والبطش للفتك بمعارضي الكنيسة[٤٢].

– ومن أبرز الحركات الإرهابية التي اعتمدت التنظيم السري العسكري حركة القرامطة، والتي كان لها نصيب كبير من الممارسات الإرهابية في التاريخ الإسلامي، وقد تكونت تلك الحركة في القرن الرابع الهجري، وظلت تقوم بالعمليات الإرهابية التي راح ضحيتها المئات من النساء والأطفال وغيرهم من المدنيين، وبلغ من إيغال تلك الحركة في العنف والإرهاب أن اقتحموا مكة المكرمة وأعملوا فيها القتل والحرق واعتدوا على المسجد الحرام وخلعوا باب الكعبة وسرقوا الحجر الأسود، وظل إرهاب تلك الحركة مستمرًّا إلى ما يقرب من مئة عام[٤٣].

– ومن صور الإرهاب في العصر الحديث، المنظمات الصهيونية التي أنشئت خلال العقود الأخيرة، والتي مارست صورًا مختلفة من الإرهاب، ومن أشهر العمليات الإرهابية التي قامت بها تلك المنظمة مذبحة دير ياسين، والتي راح ضحيتها أكثر من ٢٥٠ شخصًا بينهم نساء وأطفال.

وقد استعملت تلك المنظمات وسائل إرهابية كثيرة ومتعددة، وتوجهت عملياتها للعرب الفلسطينيين، ولليهود المخالفين للسياسة الصهيونية وللأجانب.

محاكم التفتيش أحد صور الإرهاب في العصور الوسطى

إن العالم لم يستيقظ فجأة ليتفاجأ بوجود ما يسمى بالإرهاب بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، أو غيرها من العمليات الإرهابية المزلزلة؛ فالإرهاب ظاهرة قديمة مقارنة للوجود الإنساني

نماذج من الأساليب والوسائل

التي استعملتها واستحدثتها المنظمات الصهيونية في عملياتها الإرهابية[٤٤]

الوسيلة	تاريخ أول استعمال	المكان	الطرف الذي استعملت ضده
اغتيال سياسي لأعضاء من الجالية نفسها	يوليو ١٩٣٣	تل أبيب	يهود
قنابل في المقاهي	مارس١٩٣٧	يافا	فلسطينيون
قنابل في الأسواق	يوليو ١٩٣٨	حيفا	فلسطينيون
نسف سفن مع ركابها	نوفمبر ١٩٤٠	حيفا	يهود
إلقاء قنابل على دوائر مدنية	فبراير ١٩٤٤	تل أبيب	بريطانيون ويهود وفلسطينيون
اغتيال سياسي خارج فلسطين	نوفمبر ١٩٤٤	القاهرة	بريطانيون
أخذ رهائن من العسكريين	يونيو ١٩٤٦	تل أبيب	بريطانيون
نسف فنادق	يوليو ١٩٤٦	القدس	بريطانيون ويهود وفلسطينيون
سطو مسلح على البنوك	سبتمبر ١٩٦٤	تل أبيب	بريطانيون ويهود وفلسطينيون
نسف سفارات خارج فلسطين	أكتوبر ١٩٤٦	روما	بريطانيون

لغم سيارات الإسعاف	أكتوبر ١٩٤٦	بتاح تكفا	بريطانيون
ضرب رهائن بالسياط علنًا	ديسمبر ١٩٤٦	تل أبيب	بريطانيون
أخذ رهائن من المدنيين	يناير ١٩٤٧	القدس	بريطانيون
نسف البنوك	فبراير ١٩٤٧	حيفا	بريطانيون ويهود وفلسطينيون
رسائل ملغومة خارج فلسطين	يونيو ١٩٤٧	لندن	بريطانيون
قتل الرهائن	يونيو ١٩٤٧	تل أبيب	بريطانيون
استخدام قنابل المورتر ضد مدنيين	فبراير ١٩٤٨	حيفا	فلسطينيون
حرب نفسية لحمل المدنيين على الرحيل	مايو ١٩٤٨	فلسطين	فلسطينيون
كتاب ملغوم خارج فلسطين	مايو ١٩٤٨	إنجلترا	بريطانيون
اغتيال موظفي الأمم المتحدة	سبتمبر ١٩٤٨	القدس	سويديون
طرد لمواطني القرى	نوفمبر ١٩٤٨	الجليل	عرب إسرائيليون
مصادرة لممتلكات النازحين والغائبين	١٩٤٨	فلسطين	فلسطينيون

نسف المدارس عمدًا عبر الحدود	يناير ١٩٥٢	بيت جالا	فلسطينيون
استعمال النابالم ضد المستشفيات	يونيو ١٩٦٧	القدس	فلسطينيون
الوحشية ضد أسرى الحرب العسكريين	يونيو ١٩٦٧	سيناء	مصريون
قصف وإطلاق النار على اللاجئين	يونيو ١٩٦٧	الضفة الغربية	فلسطينيون
إتلاف المحاصيل الزراعية بمواد كيميائية	إبريل ١٩٧٢	الضفة الغربية	فلسطينيون
الاغتيال عن طريق لغم السيارات الخاصة	يوليو ١٩٧٢	بيروت	فلسطينيون

وتأتي أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م كأشهر العمليات الإرهابية في العصر الحديث، والتي نُفِّذت من خلال طيارين انتحاريين اصطدموا بطائراتهم ببرجي مركز التجارة الدولية بمنهاتن، وتسببت تلك العملية في مقتل ما يقارب من ثلاثة آلاف قتيل، ونفذها تنظيم القاعدة.

وما زال العالم يشهد عمليات إرهابية لا تكاد تتوقف في كافة أنحائه إلى تلك اللحظة، وأصبحت تلك العمليات

هي شـغل الحكومات الشـاغل، وقضيتهم المؤرقة والمهددة لسلامة وأمن الشعوب والأوطان.

ثالثًا: رأي علماء النفس والاجتماع في الإرهاب

يـرى عـدد مـن الباحثـين أنَّ الإرهابيـين يعانـون مـن مشـكلاتٍ نفسـية واجتماعيـة عميقـةٍ؛ فهـم: عدوانيـون، وجامحون، ومختلُّون، وسـيكوباتيون، أي متبلِّدي المشـاعر، ومعادين للمجتمع، ومنغلقي التفكير.

ويـرى البعـض الآخـر أنهـم مزيـج مـن السـيكوباتية والسوسـيوباتية، بمعنـى أنهم مزيـج من الأمراض النفسـية والاجتماعيـة. وقال البعض كذلك: إنهم نرجسـيون، بمعنى أنهم مبالغون في الإعجاب بالنفس، أو أشـباه فصاميين، أي: لديهم إحساس بالقدرة العقلية، والانفصال عن العالم، لكنهم ليسوا من المرضى الفصاميين، بالمعنى الطبي المعروف[٤٥].

فالإرهابي وفق تلك النظريات يتعرض بشـكل أو بآخر لنـوع اضطراب نفـسي يأتي في مرحلة لاحقـة لعملية صراع فكري، وقد يسـتغل مبشرو الإرهاب تلك الحالة الصراعية التي يعيشها الإرهابي لدفعه في الاتجاه الذي يئول به إلى ذلك الاضطراب تمهيدًا لتحوله إلى الخيار الإرهابي، وقد تصورت دراسـة تحليلية أجريت على العديـد من النماذج الإرهابية أو

التـي كانـت إرهابية، مراحـل التحول الإرهـابي من خلال وجود صراع فكري محتدم، فتسـتغل الآليـة الإرهابية ذلك الـصراع وتختـار بعـض الأشـخاص المسـتهدفين، وتبدأ في اسـتغلال ذلك الـصراع لتغذية العداء المجتمعـي، ومن ثم يتحـول ذلـك العـداء إلى اضطـراب نفـسي ينتج عـن عدم تكيـف الفرد داخل ذلـك المجتمع، والذي يترجم مع مرور الوقت وتهيئة البيئة المتطرفة إلى سلوك إرهابي.

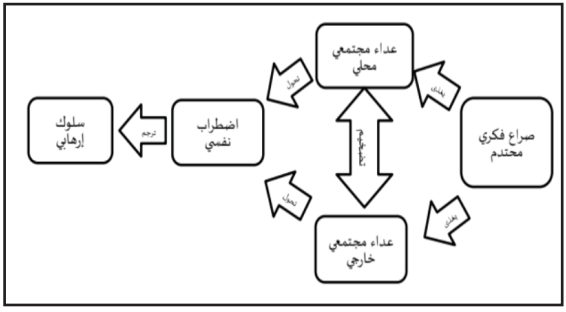

رسم توضيحي يصور التحول النفسي للإرهابي[٤٦]

وقد أجريت دراسة نشرتها منظمة الأمم المتحدة في أكتوبر ٢٠١٧ أرجعت أسباب الانضمام إلى تنظيم إرهابي إلى:

- الأفكار الدينية بنسبة (٤٠٪)

- رغبة الشخص في أن يكون شيئًا ضمن منظومة أكبر من ذاته بنسبة (١٦٪)
- البحث عن عمل (١٣٪)
- تصديق كلام زعيمه الديني (١٣٪)
- عوامل الصداقة والقرابة (١٠٪)
- أسباب عرقية (٥٪)
- الأفكار السياسية للمجموعة (٤٪)
- المغامرة (٣٪)
- الخدمات المقدمة من التنظيم (٣٪)
- تصديق المعلم (٢٪)
- العزلة الاجتماعية (١٪)
- التهميش السياسي (١٪)
- أسباب أخرى (٣٪).

وهذا لا يتعارض مع الدراسة السابقة التي رصدت مراحل التحول النفسي للإرهابي، لأن الأسباب الدينية والرغبة في الانضمام لتنظيم أكبر هي في الحقيقة ناتجة عن

تضخيم العـداء المجتمعي؛ لأن تنامي هـذا العداء واحتدامه يجعـل هذا الشـخص يحاول اللجوء إلى نسـق ثقافي يحميه من المجتمع وفق تصوره، ويواجه ذلك المجتمع من خلاله، وهنا ينشط دعاة التطرف والإرهاب، ويمارسون خطابهم التعبوي المعتمد على الدين في غالب الأحيان وعلى إذكاء روح الجماعة ونحو ذلك، مما يجعلهم خيارًا منطقيًّا لهذا الشخص.

وكل تلك الرؤى النفسية والاجتماعية للسلوك الإرهابي والظاهـرة الإرهابيـة تفترض تمحـور الشـخصية الإرهابية حول الاضطراب النفسي، بينما أظهرت دراسات أخرى أن محاولات الربط بين الانخراط في الإرهاب والصحة النفسية للمنخرطين أو كنتيجة للخلل في سلوكهم الاجتماعي «غير مجديـة، فنتائـج رصـد معـدلات تلـك المعضلات النفسـية أو الاجتماعيـة لـدى المنخرطـين في أعـمال عنـف لم تتجاوز المعدلات نفسها التي رُصدت في الأوساط الطبيعية، كما أن نسـبة كبيرة منهم لا يعانون أصلًا من مثل تلك المشكلات، وأن العديـد من المنخرطـين في العنف والإرهـاب يقومون بأعـمال إرهابيـة على نحو مفاجـئ في فترات قـد لا تتجاوز عدة أيام أو أسابيع من تبنِّيهم موقفًا ما من قضية معينة»[٤٨].

يدفع ذلـك للبحث عن منظـور متكامـل لتغيير ظاهرة الإرهاب، وهو ما يتناوله الباب الثاني بشيء من التفصيل.

المبحث الرابع
الفرق بين التشدد والتطرف والإرهاب

بعد ما سبق من تحرير مفاهيم التشدد والتطرف والإرهاب، يبدو الفرق بين مدلول كل منها، والذي يمكن اختصاره في النقاط الآتية:

أولًا: أن التشدد والتطرف كلاهما عمل فكري يتعلق بالرأي في المقام الأول، أما الإرهاب فهو سلوك عملي، وفعل مادي، بخلاف التشدد أو التطرف الذي يمثل اتجاهًا فكريًّا.

ثانيًا: أن التشدد والتطرف وإن كان كلاهما متعلقًا بالفكر دون الفعل، وكلاهما ينطوي على غلو وتجاوز لحد الاعتدال، إلا أن التشدد قد يفارق التطرف من حيث إن قضية المتشدد ذاتية، بخلاف قضية المتطرف التي قد تكون ذاتية وقد تكون عامة، بمعنى أن المتشدد يغلو في حق نفسه، وينظر إلى تطبيق مظاهر ذلك الغلو على ذاته، بخلاف المتشدد الذي بجانب كونه يجعل من نفسه بطبيعة الحال محلًّا لأفكاره المتطرفة، إلا أنه في الوقت نفسه ينظر

إلى مقتضيات تلك الأفكار على مجتمعه وعلى باقي البشر، فعلى سبيل المثال فإن المتشدد يعنت نفسه بإلزامها أداء عبادة على نحو معين لم يؤمر به، كالصيام أيام السفر والمرض مثلًا، فهنا قضية المتشدد هي تطبيق لذلك الانحراف عن الاعتدال على نفسه، أما المتطرف فإنه ينظر إلى نفسه وإلى العالم، فلو افترضنا مثلًا أن شخصًا قد تطرف في فكره واعتنق عدة مبادئ منحرفة كما يعتقد البعض بكفر حكام الدول الإسلامية، فإن تلك الفكرة لدى المتطرف لها مقتضيات يجب تطبيقها بحسب رؤيته على ذاته وعلى الناس أيضًا، فيجب عليه التهرب من تشريعات الدولة، وهو ما يجب على الناس أيضًا، كما يجب عليهم اعتقاد كفره، وأن عدم اعتقادهم لذلك هو كفر أيضًا، وهكذا.

ثالثًا: أن العلاقة بين التطرف والتشدد علاقة عموم وخصوص لازمة، بخلاف العلاقة بين الإرهاب وبين كل منها، فإنها لا تتسم باللزوم، بمعنى أن التطرف والتشدد يرتبطان بعلاقة لازمة من حيث أن المتطرف لا بد وأن يكون متشددًا، بخلاف التشدد فإنه قد يوجد دون التطرف؛ لأن التشدد يعد درجة أقل من التطرف على مستوى الانحراف الفكري، فالمتشدد لا يلزم وأن يكون متطرفًا.

أما بخصوص الإرهاب، فإن الشخص الإرهابي قد يكون متطرفًا، بل إن احتمال كونه يحمل أفكارًا متطرفة أو متشددة احتمال في غاية القوة، إلا أن ذلك ليس بلازم، بمعنى أن الشخص الإرهابي قد لا يكون متطرفًا في الأصل، فليس جميع الإرهابيين متطرفين. يقول ماركو بينفاري: «فإن افترضنا أن جميع الإرهابيين متطرفون، سنكون -بناءً عليه- نصنفهم بهذا المسمى بأثر رجعي. على سبيل المثال، في حالتي جبهة التحرير الوطني في الجزائر أو الحركة الانفصالية في أيرلندا، قد يكون لديهم سبب مقبول نسبيًّا لأحقية حصول شعبهم على حق تقرير المصير فيرتكبون أفعالًا إرهابية لأنهم يرون أنه لا توجد وسائل أخرى لتحقيق مرادهم. ومن ثم فقد تُرى أفكارهم كأفكار متطرفة ليس لأنها متطرفة حقًّا، وإنما لأنها أدت إلى ارتكاب أفعال تعتبر متطرفة»[٤٩].

فالدوافع للسلوك الإرهابي شديدة التعقيد، لدرجة أن مَن يقومون بالعمل الإرهابي أنفسهم قد لا يدركونها بوضوح في كثير من الأحيان، ولذلك رأى البعض ضرورة التركيز على العامل الشعوري النفسي والديناميات المتنوعة التي تخلق دوافع عديدة لدى بعض الأشخاص للانخراط في الإرهاب والعنف في كثير من

الأحيان دون تبني أجندة فكرية متطرفة أو حتى التعاطف مع فكر متطرف معين[٥٠].

التشدد والتطرف

كلاهما عمل فكري يتعلق بالرأي في المقام الأول

أما الإرهاب

فهو سلوك عملي، وفعل مادي، بخلاف التشدد أو التطرف الذي يمثل اتجاهًا فكريًّا

الفصل الثاني

أشكال التطرف

تمهيد وتقسيم:

إن كثرة الدوافع المنتجة لظاهرة التطرف، وتنوعها ما بين النفسي والاجتماعي، والأيدولوجي، جعل من التطرف بناء متدرجًا ومتطورًا، بداية من السياق الذي تتكون فيه الفكرة المتطرفة، إلى أن يصل الى الممارسة العنيفة في نهاية الأمر، وشكلت دراسة تلك المراحل والأشكال محورًا مهمًّا حظي بعناية الدارسين والباحثين في هذا الحقل، نظرًا لارتباط فهم تلك المراحل بفهم ظاهرة التطرف وتفسيرها، بل وتتجاوز تلك الأهمية تفسير الظاهرة وفهمها إلى وضع استراتيجيات الوقاية والمواجهة أيضًا.

وقد وقع الكثير من الباحثين والمؤسسات في خطأ كبير، وهو عدم التفريق بين ألوان التطرف ودرجاته، ولذلك تعاملت العديد من المؤسسات الاجتماعية والأمنية على حد سواء مع حامل الأفكار المتطرفة على أنه إرهابي محتمل؛ لظنهم حدوث ارتباط تلازمي بين حمل الفكر المتطرف وبين ممارسة التطرف الفعلي والانخراط في الأعمال الإرهابية.

والحقيقة أن تطور التطرف وانتقاله بين عدة درجات وأشكال أصبح محوًرا نظريًّا مُسلَّمًا، وثمة دراسات حديثة تؤكد على المفارقة بين تطرف الفعل والتطرف الفكري

والتطرف القولي، وتنوعت في ذلك الإطار الرؤى لمسارات ومراحل وأشكال التطرف، وقبل عرض أشكال التطرف ومراحله الثلاثة نعرض لنموذجين مهمَّيْن من عدة نماذج قدمت طرحًا وتصورًا لمراحل التطرف.

النموذج الأول: نموذج الهرمين:

ويعد ذلك النموذج من أبرز الدراسات التي تناولت أشكال التطرف ومراحله، وقد ظهر ذلك النموذج في الدراسة التي أعدها كلارك مكولي، وصوفيا موسكالينكو، من كلية برين ماورش الأمريكية، وجاءت تحت عنوان «فهم التطرف السياسي: نموذج الهرمين». وترتكز تلك الدراسة على تقسيم التطرف إلى مرحلتين رئيستين، وهما التطرف في الفعل، والتطرف في القول.

وعن أسباب ذلك التقسيم تقول الدكتورة صوفيا موسكالينكو في حديث هاتفي لدى سؤالها عن مفهوم «الهرمين»، والسبب الذي حدا بها إلى طرحه: إن الدراسات السيكولوجية حول التشدد والإرهاب لم تبدأ إلا أخيرًا، وإن كثيرًا من الناس والاختصاصيين يخلطون بين الرأي المتشدد وبين الفعل الإرهابي.

وأضافت: «إنَّ الفرق كبير جدًّا بين حمل رأي معين وبين تنفيذ أي فعل لتبرير هذا الرأي، فكثير من الناس يتحدثون

عـن آرائهم بـضرورة تدوير النفايات، إلا أنهـم لا ينفذونها بالضرورة».

أما عن طـرح مفهوم «الهرم» فأجابت موسـكالينكو أن الهرم يمثل شـكلًا هندسـيًّا بقاعدة عريضة من الأشـخاص الذيـن يحملون الآراء نفسـها إلا أنهم خاملون، أما عند قمة الهرم فيوجد عدد صغير جدًّا من الأشخاص الذين دفعتهم تلك الآراء إلى تنفيذ فعل متطرف.

وأضافـت الباحثـة الأميركية: «إن تبريـر وجود نموذج الهرمين ينبع من الملاحظات المستقاة التي تشير إلى أن ٩٩ ٪ من حاملي الفكر المتشـدد لا ينفـذون أي أفعال... ولذا فإن كثيريـن يلتحقـون بالعمليـات الإرهابيـة مـن دون حملهـم لأفـكار متشـددة». واعتـبرت أن البرامـج المعـدة لمكافحة الأفـكار المتشـددة التي لا تفرق بينها وبـين التطرف العنفي أو الإرهـاب سـتؤدي وبلا مـبرر إلى مضاعفـة التهديدات الإرهابية[٥١].

وبالعـودة إلى موضـوع الدراسـة فإنهـا تعتـبر كلًّا مـن تطـرف الرأي وتطـرف الفعل هرمين، ينقسـم كل منهما إلى عدة مستويات:

أما هرم الرأي: فيأتي في قاعدته: المحايدون؛ وهم الذين لا يهتمـون بقضيـة معينة، لأنهـم المتعرضون للتأثـر بالفكر

أو الـرأي المتطرف، لكونهـم لم يتبنوا موقفًـا مناهضًا للفكر المتطرف من الأصل.

ثـم يأتي بعـد ذلك في المسـتوى التـالي المتعاطفون، وهم الذين يؤمنون بقضيـة معينة، لكنهم لا يبررون العنف، ولا يحاولون شرعنته أو الدفاع عن الراسخين في الأعمال العنيفة التي تستهدف الأشخاص والمنشآت.

ثم في قمة ذلك الهـرم يأتي المبررون: وهم الذي يؤمنون بقضيـة معينة، ويبررون أعمال العنـف التي يرتكبها البعض في سبيل تلك القضية والدفاع عنها ومحاولة تحقيقها[٥٢].

هرم الرأي وفق نموذج الهرمين لمراحل التطرف

أمـا هرم الفعل: فيأتي في قاعدتـه الخاملون، وهم الذين لا يفعلون شـيئًا في صالح الجماعة، يعني أنهم على الرغم من اقتناعهـم بأفـكار الجماعـة أو التنظيم إلا أنهـم غير ضليعين بالفعل في أعمالها ولا يقدمون لهم الدعم العملي.

ثـم في الدرجـة التالية: النشـطاء: وهـم الذيـن يقومون بأعمال (قانونية) في صالح الجماعة التي ينصرونها.

ثم الراديكاليون: وهم الذين يقومون بأعمال غير قانونية لدعم قضيتهم.

ثـم يـأتي في قمـة هـرم الفعـل الإرهابيون: وهـم الذين يقومون بأعمال غير قانونية تستهدف المدنيين.

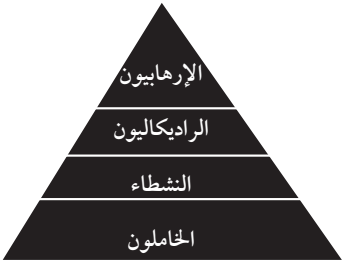

هرم الفعل وفق نموذج الهرمين لمراحل التطرف

فبحسب تلك الدراسـة فإن مراحل التطرف مرحلتان، هما تطـرف الرأي وتطرف الفعل، وتضـم كل مرحلة منهما عدة مستويات كما تقدم.

النموذج الثاني: نموذج مراحل التطرف الأربعة:

وهـذا الطرح لأشـكال التطـرف أو مراحله مـن إعداد إدارة شرطـة نيويـورك، نُشر ضمن وثيقة بعنـوان «التحول

إلى التطـرف في الغرب... التهديد الداخلي المنشـأ» صدرت عام ٢٠٠٧م، ويفـترض هذا الطرح أن التطرف يمر بأربعة مراحـل، وهي (مـا قبل التطـرف، التحديد الـذاتي للهوية، التلقين العقائدي، الجهاد).

أمـا المرحلة الأولى: فتصـف حياة الفرد قبـل تطرفه من الأصـل، وتفترض ظهـور بعض مواطـن الضعف في تلك المرحلة التي تمهد للمرحلة التالية.

المرحلـة الثانيـة: وهي مرحلـة التحديد الـذاتي للهوية: وفيها ينتقـل الفرد إلى البحث عن الهوية السـلفية الجهادية، ويبـدأ في الانضـمام الفعـلي إلى أصحـاب تلـك الاتجاهات والانخراط معهم.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة التلقين: وفي تلك المرحلة يتم غرز المعتقدات في الفرد واعتماده من قبل الأيدلوجية الجهادية السلفية، ويتزايد في تلك المرحلة دور تلك الجماعة تكوينيًّا.

المرحلـة الرابعة: مرحلة الجهاد: وهـي المرحلة التنفيذية النهائيـة في عملية التطرف، حيـث يقبل الأعضاء والمنتمون فكريًّـا لتلـك التنظيـمات أن يكونـوا جنودًا لتلـك الأفكار، ومـن ثم يقومون بتنفيذ العمليات الإرهابية التي تسـاعد في تحقيق تلك الأفكار والغايات.

مراحل التطرف الأربعة وفق إدارة شرطة نيويورك

- ما قبل التطرف
- التحديد الذاتي للهوية
- التلقين
- الجهاد

ولا يخفى أن هذا الطرح لمراحل التطرف هو طرح خاص جدًّا، يعتمد بشكل كبير على المقاربات النمطية التي تفترض أن ثمة تلازمًا بين الأيدلوجية (منظومة الأفكار) الإسلامية وبين التطرف والإرهاب، مما يضع هذا التصور جنبًا إلى جنب مع تلك الأطروحات المتأثرة بفوبيا الإسلام؛ فالمرحلة الأولى من ذلك التصور يكاد أن يندرج تحتها كل الأسر المهاجرة والشباب العاديين، لكونهم مصنفين تحت مرحلة «ما قبل التطرف»، ومن ثم فإنهم محل شك عند القيام بأي نشاط قد يفهم منه وفق ذلك التصور انتقالهم للمرحلة التالية، وهي مرحلة تحديد الذات والهوية.

وعلى كل حال فإنه يبدو ظاهرًا أن هذا النموذج يقدم تصورًا -بجانب انحيازه- غير مُجْدٍ في قضية تفسير التطرف وتفعيل آليات مواجهته؛ لاعتماده على عدة فروض قد لا تكون واقعية[٥٣].

مراحل التطرف وأشكاله الثلاثة

ومـن خـلال النظـر إلى نـماذج التطـرف التـي توصِّـف مراحله وأشـكاله المختلفة، يمكن تقسيم التطرف إلى ثلاث مراحـل متعاقبـة، تمثل كل مرحلـة منهم شـكلًا متميزًا من أشكال التطرف.

ولذلك تم تقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

التطرف الفكري.

المبحث الثاني

التطرف القولي.

المبحث الثالث

التطرف العنيف (الإرهاب).

المبحث الأول
التطرف الفكري

يعـرف الفكر[٥٤] بأنـه: «المعقولات والمعـاني التي تنتج عـن تفكـير البشر، وتأخذ شـكل عقيـدة أو مبـدأ يؤمن به، فتكـون منـه العقائـد والتصـورات البشرية، وتكـون باعثة ومؤثرة على السـلوك»[٥٥]؛ حيث لا يكتفـي ذلك التعريف بوصـف الفكر بكونـه حركة عقلية يثيرهـا شيء ما أو تبغي الوصول إلى التعرف إلى مجهول ما، وإنما أشار إلى كونه معبِّرًا عن العقيدة والمبادئ الناشـئة عن تفكير البشر، والتي كانت قبلُ مجرد معقولات ومعانٍ.

فتعريف الفكر مع تعددها يدور في فلك الدلالة اللغوية للجذر (فكر)؛ من إعمال العقل وإثارته في قضية من القضايا أو نحو شيء من الأشياء الواردة إليه.

ويعتـبر التطـرف الفكري هـو المرحلـة الأولى التي تمثل الشـكل الأول من أشكال التطرف، وفي تلك المرحلة يتخذ المتطـرف موقفًا فكريًّا وسـلوكيًّا مجاوزًا لحـد الفهم الجمعي لمجتمعـه، أو للتيـار الرئيـسي الـذي ينتمي إليـه. فالمتطرف

فكريًّا تبدأ قناعاته الشخصية وأفكاره في الابتعاد تدريجيًّا عن حدود الاستقامة والاعتدال، وتقترب من الغلو والأحكام الصدامية، فعلى سبيل المثال فإن صاحب التوجه العنصري تجاه أصحاب البشرة السوداء يتخذ موقفًا فكريًّا وسلوكيًّا يتجاوز حد المبدأ الجمعي لمجتمعه الذي ينبذ العنصرية والتطرف بهذا الشأن، وعلى ذلك المتطرف بشأن الدين وغيره.

فالتطرف الفكري هو اعتداء ذو نزعة فردية أو جماعية ينعكس على الذات أو على الآخر، سواء أكان الآخر فردًا أم جماعة أم سلطة أم مجتمعًا أم إقليمًا أم دولة أم مجموعة دول. ويهدف التطرف الفكري إلى إشاعة أفكار ليس لها مرجعية معتمدة من الشرع أو القانون المدني أو الدولي، للتشكيك في الأهداف والمصالح والنظم والعقائد من أجل مكاسب محدودة أو موسعة بطرق غير شرعية. ويؤثر التطرف الفكري على أمن الفرد والجماعة والدولة والمجتمع الدولي بصورة غير سلبية، كما يؤدي إلى زعزعة الأمن الفكري والثقافي وإثارة نوبات العنف والتطرف والإرهاب في بعض حالاته[٥٦].

وفي هذه المرحلة تتسم عقلية المتطرف بعدة سمات تؤثر في استعداده الفكري والثقافي وفي انتقاله في مراحل التطرف، وأبرز تلك السمات[٥٧]:

- الـولاء لأصحـاب الفكـر المتطـرف يكـون مقدمًـا عـلى ولائه للفكـرة ذاتهـا، فـولاء المتطرفـين المنتمين للتنظيـمات الإرهابيـة مقـدم عـلى ولائهم للإسـلام، بحيث يكـون الانتماء للجماعة هـو الأصل، والانتماء للإسـلام هو الفرع، وإذا تعارضـت مصلحة الجماعة مع مصلحة الإسـلام قُدِّمت مصلحة الجماعة، ويبرر ذلك بأن الإسـلام امتدح وحثَّ على العمل الجماعي، وأن التكاليـف الشرعية لا تـؤدَّى إلا في جماعة، ومن ثم يتحول هـذا الانتماء إلى عصبية واقتتال لأجل بقاء هذه الجماعة.
- التشـبث بالأفكار القديمة وتقديسـها ورفض كل ما هـو جديـد أو تمييـز بين الخطـأ والصواب ممـا تحمله، ممـا يصيب المتطـرف بالجمـود وإلغاء الـدور النقدي للعقل.
- المنهج الصدامي مع كافة التيارات والأفكار المخالفة؛ سـواء أكانـت تلـك التيـارات تنتمـي لـذات الديـن والجنـس والعـرق أم لا، وغياب أي وسـيلة للحوار فيـما بينهم، والقناعة التامـة بحتمية الصدام وضرورة المواجهة، مع المخالفين.

- تشـويه الحقائق: وهي سمة يتسم بها الفكر المنحرف، فتعطيـه القدرة على قلب المفاهيم وطمسـها، وتقديم أدلة وبراهين غير كافية أو مناقضة للواقع، واسـتعمال الكلـمات بمعـانٍ مُبهمة غير محـددة أو بمعـانٍ متقلبة ومختلفة.
- الانغلاق على النفس ورفض أي فكر مخالف حتى لو كان صوابًا ما دام لم يخرج من بين المتأثر بهم أو المنتمي لهم صاحب الفكر المتطرف.
- غياب فكرة النقـد الذاتي، وهي التي تحول أفراد تلك الجماعـات المتطرفة فيما بعـد إلى عقليـات ذات أفكار متجمـدة غير قابلة للتطويـر، فينتج عن ذلك تقديس رموز الجماعة الذي يحول بين منتسبيها وبين التجديد.
- غيـاب فكـرة الحوار والتسـامح، ممـا يعزز مـن فكرة التكفير، ويؤسس لمظاهر العنف فيما بعد.

سمات المنتمي للشكل الأول من التطرف

- تشويه الحقائق
- التشبث بالأفكار القديمة

سمات المتطرفين فكريًّا

- غياب النقد الذاتي
- الانغلاق على النفس
- تبني المنهج الصدامي
- غياب مبدأ الحوار
- تقديم الولاء لصاحب الفكرة على الفكرة ذاتها

ولا يشترط أن يكون المتطرف في هذه المرحلة ضمن تنظيم يجمع أصحاب ذلك الفكر، فهذا الشكل من أشكال التطرف يتسم بالمرونة الكبيرة من حيث غياب الهيكل التنظيمي والانتساب الظاهر لجماعة أو تنظيم معين، ولكن يجمع أولئك عدة أفكار مشتركة تمثل رابطًا رمزيًّا، يخلق حالة من الائتلاف بينهم، وقد يسهل من انتقالهم إلى مرحلة متطورة وشكل آخر من أشكال التطرف، إلا أنه ليس بالضرورة حدوث ذلك الانتقال، فقد يظل المنتمي لهذا الشكل من التطرف مقتنعًا بأفكاره المتطرفة دون محاولة منه إلى تطوير ذلك للممارسة القولية أو الفعلية، بل قد يكون حامل الفكر المتطرف رافضًا للممارسات التطرفية العنيفة وإن كان يبدي تعاطفًا معها، وفي أحيان أخرى تفهمًا لدوافعها، مما يضع هذا الشكل من أشكال التطرف في دائرة التوجهات الخطيرة والمقلقة التي تضرب منظومة القيم

والأخلاق والسياق الثقافي للمجتمع بشكل عام، وتظل احتماليات تأثيرها السلبية على السلم العام قائمة.

ومن أهم أغراض التطرف الفكري:

١. حشو أذهان أفراد المجتمع -لاسيما شبابه- بأفكار لا تنسجم مع الأفكار الأصيلة التي تتوافق مع ثوابت المجتمع في مختلف عناصر الثقافة المرغوب فيها.

٢. التشكيك في صحة الأفكار والممارسات التي لها مرجعية ثابتة، مما يتسبب في إحداث ازدواجية في الفهم، ومن ثم ارتكاب السلوك الانحرافي.

٣. إضعاف وحدة المجتمع وتمزيق تماسكه وتوزيعه على كيانات واتجاهات ذات انتماءات مختلفة، الأمر الذي يتسبب في إثارة النعرات الطائفية والانتماءات المضللة، وربما أدى إلى المواجهة والاقتتال الفردي والجماعي.

٤. تشويهه صورة الإسلام والمسلمين ونعتهم بأوصاف مضللة؛ للتقليل من أهمية الإسلام كدين ومنهج، وللتقليل من أهمية المسلمين كبشر مثل غيرهم لهم خصوصية في الفكر والمنهج والسلوك.

٥. إحداث اعتداءات فادحة على النفس أو على الآخرين أو على المجتمع وإلحاق صور من الأذى المغلظ؛ لإجبار صناع القرار في المجتمع على تنفيذ قناعاتهم المفروضة عليهم.

٦. إيجاد أجيال ذات عقول بسيطة لا تفرق بين الحق والباطل، ولا تنظر إلا على السلبيات، وتغفل الإيجابيات، وتنبهر بها لدى الغير، وتتنكر على التاريخ والتراث.

٧. إيجاد أجيال تتهاون في احترام حقوق النفس وحقوق الآخرين، كما تتهاون في أداء الواجبات على نحو سليم.

٨. نبذ الوسطية؛ وذلك بالغلو في الدين أي بالتعصب للجماعة، والغلو في قائدها، والتكفير بالمعصية، وتكفير الحاكم بغير ما أنزل الله، وتكفير الخارج عن جماعتهم، والقول بجاهلية المجتمعات المسلمة المعاصرة، والحكم على بلاد المسلمين بأنها دار كفر، واستحلال الدماء والأموال بناء على ذلك، وتحريم الطيبات، والغلو بتحريم العمل في الوظائف الحكومية.

٩. تغيير المعاني الصحيحة للمفاهيم، فمثلًا يعتبر الانتحار جهادًا، وقتل النفس بغير حق استشهادًا [٥٨].

المبحث الثاني
التطرف القولي

يمثل التطرف القولي المرحلة الثانية من مراحل التطرف، وفيها ينتقل المتطرف من اعتناق الفكرة المتطرفة إلى التنظير لها والدعوة إليها عن طريق القول، فيمارس الشخص التطرف سلوكًا قوليًّا لا فعليًّا[٥٩].

ولا شك أن التطرف القولي هو الممهد للتطرف الفعلي وللممارسات الإرهابية بشتى صورها، والعلاقة بين الشكل الأول (التطرف الفكري) وبين الشكل الأخير (التطرف العنيف) تختلف بشكل كبير عن العلاقة بين التطرف القولي والتطرف العنيف، وجهة الاختلاف الغائية بينهما هي احتمالات التطور والانتقال بين الشكلين والمرحلتين؛ فاحتمال انتقال المتطرف الفكري إلى ممارس فعلي للتطرف العنيف أقل بشكل كبير من الاحتمالية ذاتها بين أصحاب التطرف القولي والتطرف العنيف.

ولعل ذلك يعود إلى أن القول هو أحد مراتب الفعل، أو أحد أنواعه، والمتطرف حينما يبدأ في إخراج أفكاره

المتطرفة عن طريق تنظيرات وتصريحات وحوارات، هو في الحقيقة بدأ فعليًّا في ممارسة التطرف، وإن كان لم يصل بعد إلى الممارسة العنيفة، فالانتقال بين المرحلتين وإن لم يكن حتميًّا شأنه في ذلك شأن الانتقال بين الفكر والعنف، إلا أن احتماليته كبيرة جدًّا، ومنطقية أيضًا، حتى أن البعض نزَّل التطرف القولي منزلة الإرهاب والتطرف العنيف.

ونحن نتفق بشكل كبير مع الطرح الذي يعتبر التطرف القولي هو المرحلة الانتقالية للتطرف العنيف، وأن ثمة ارتباطًا أغلبيًّا بين وجود التطرف القولي وبين الممارسات العنيفة والإرهابية.

فالتطرف القولي هو صياغة وتأصيل للأُطُر النظرية للجماعات المتطرفة والإرهابية، ويمثل الإنتاجُ الكلاميُّ لأصحاب الفكر المتطرف سواء كان خطابات أو مؤلفات أو فتاوى الركيزةَ الأساسيةَ التي بنت عليها تلك التنظيمات سلوكها وأفعالها الإرهابية، فمن ذلك على سبيل المثال قول البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين: «سنتوجه بدعوتنا إلى المسئولين من قادة البلد وزعمائه ووزرائه وحكامه وشيوخه ونوابه وهيئاته وأحزابه، وسندعوهم إلى منهاجنا ونضع بين أيديهم برنامجنا، وسنطالبهم بأن يسيروا عليه.. فإن أجابوا

الدعـوة وسـلكوا السـبيل إلى الغايـة آزرناهـم، وإن لجئـوا إلى الموارِبـة والمراوغة وتسـتروا بالأعـذار الواهية والحجج المـردودة فنحن حرب على كل زعيـم أو رئيس أو حزب أو هيئـة لا تعمل على نصرة الإسـلام ولا تسـير في الطريق إلى استعادة حكم الإسلام ومجد الإسلام، سنعلنها خصومة لا سِلم فيها ولا هوادة معها حتى يفتح الله بيننا»[٦٠].

فـإن قول البنـا ومِنْ بَعْـدِه تنظيرات سـيد قطب فتحت منهاجًـا جديـدًا للعنـف وعملت على تجذيره على المسـتوى النظـري؛ حيث بدأت كتابـات ونصوص قيـادات التنظيم في مهاجمـة قيـم الديمقراطيـة والحداثـة والحريـة واتهامهـا بتخلـف المجتمعات، ومن ثَم رأت ضرورة طرح تصورهم عـن «الدولـة والحكم» كبديـل يقوم على مراحـل متدرجة، ويعتمـد نجـاح تلـك المراحـل عـلى التغلغـل واخـتراق المؤسسـات والمجتمعـات، مع ضرورة التواصل والتنسـيق مع الجماعات «الجهادية» الإرهابية، وضرورة بناء قوة لحماية الجماعة وتأمين الوصول إلى الحكم.

وكذلك فإن العديد مـن التنظيمات الجهادية والإرهابية قـد اعتمدت بشـكل رئيس على كتـاب «الفريضـة الغائبة» لمحمـد عبد السـلام فـرج، الذي مثَّـل المرجعية الأساسـية

لتلـك الجماعـات ابتـداء من العقديـن الأخيريـن في الألفية السابقة وإلى الآن.

وكذلك كتاب «شفاء صدور المؤمنين» لأيمن الظواهري، مـن الأدبيـات الأكثـر خطـورة في نصوصهـا، حيـث عمل فيـه الظواهري على تشريع التوسـع في اسـتخدام العمليات الانتحارية وإجازة إتلاف النفس في تلك العمليات، كذلك عمـل عـلى تبريـر اسـتهداف المؤسسـات الحكوميـة التابعة للـدول المسـلمة وعلى رأسـها البعثات الدبلوماسـية، وكان كتابـه محركًا للكثـير من التنظيـمات الإرهابية، وعلى رأسـها تنظيم القاعدة بطبيعة الحال.

ومما يدل على إدراك العلماء لحجم وتأثير مظاهر التطرف القولي تصدي شـيخ الأزهر في ذلك الوقت بنفسـه الشـيخ جـاد الحق عـلي جاد الحـق للـرد على هـذا الكتـاب وتفنيد مزاعمه، مع مناقشـة الشـيخ عطية صقر رئيس لجنة الفتوى بالأزهـر، ونشر هذا الرد بمجلة الأزهر في سـنة ١٤١٤هـ، وسماه نقض الفريضة الغائبة.

ولمزيـد من التفصيل حول دور الأزهر الشريف ورجاله في مواجهـة التطـرف يراجع نهاية الفصـل الأول من الباب السابع.

وكما تمثل المقالات والكتابات المتطرفة دورها الكبير في التمهيد والتأسيس للتطرف العنيف، تعد الفتوى أهم أبرز أسلحة التنظيمات الإرهابية، حيث تُشهره في وجه المخالفين لهم متى أرادت، وتعتمد عليها في شرعنة القتل واستحلال الدم والمال للمخالفين والمتصدين لها.

وقد أشار المؤشر العالمي للفتوى إلى أن تنظيم «داعش» دأب على إصدار الفتاوى المفخخة التي تحض على قتال الأقباط، وكان من أبرزها فتوى اعتبارهم ليسوا أهل ذمة، ومن ثم فإنه يجب قتالهم وهدم كنائسهم وعدم ترميمها، وعدم توليهم مناصب داخل الدولة، وتكفير الحاكم الذي لا ينفذ هذه الأمور.

وأشار المؤشر ذاته إلى أنه في عام ٢٠١٨م كانت ٦٠٪ من الفتاوى الصادرة بحق المسيحيين على مستوى العالم قد صدرت من قِبَل جهات وشخصيات غير رسمية، وكان ٩٥٪ من جملة هذه الفتاوى في أغلبها مضطربة، وصدرت عن جهات لا تمتلك منهجًا علميًّا منضبطًا، ومن أشخاص غير مؤهلين ولا متسلحين بالعلم الشرعي[٦١]، وأن من أبرز الفتاوى التي تسببت في تأجيج الصراع والفتنة واضطهاد الأقباط، فتاوى «تحريم قبول هدايا النصارى في

أيـام عيدهم»، و«تحريـم تهنئتهم بعيدهـم» و«تحريم الأذان داخـل الكنيسـة»، و«النهـي عـن توصيـل قبطي للكنيسـة بالسـيارة أو مسـاعدته»، و«النهي عن ترديد شعار الوحدة الوطنية الهلال والصليب».

وبجانب ذلك استعملت الفتوى كأحد أدوات حروب الجيـل الخامـس لنـشر التطـرف والتحريـض عـلى الأعمال الإرهابية.

هـذا بالإضافـة إلى إهـدار حقـوق الإنسـان مـن جرَّاء الفتـاوى التـي تمثـل أكثـر مـن ٩٣٪ مـن فتـاوى أصحاب الاتجاهات المتطرفة، مع منافاتها لمقاصد الشريعة.

المبحث الثالث
التطرف العنيف (الإرهاب)

التطرف العنيف هو المتربع على قمة هرم التطرف وهو ما يعرف بالإرهاب، أو أحد أنماطه، وفي مرحلة التطرف العنيف (الإرهاب) تترجم تلك الأفكار والنظريات والفتاوى إلى أفعال عنيفة يقوم بها الإرهابيون لتحقيق غاياتهم وأهدافهم[٦٢].

فالتطرف العنيف (الإرهاب) نتاج عملية مستمرة ومتواصلة لا تتوقف أو تهدأ نظرًا للطبيعة المتغيرة، والتنوع الهائل من السياقات الفردية والاجتماعية، والتي تفرض محدداتها على تلك المرحلة، وعلى مدى مرونة الانتقال إليها.

ومن المهم جدًّا ملاحظة أن تلك المرحلة ليست مرحلة لازمة لمرحلة أخرى، بل هي مرحلة تمثل أقصى درجات الجنوح والتطرف، قد يصل إليها الفرد مباشرة دون مقدمات أو صناعة، وقد يصل إليها نتيجة عملية تجنيد متأنية، تعرض فيها ذلك الشخص لإعادة صياغة لأفكاره وتصوراته نحو القضايا الأساسية التي تتمحور حولها نظريات التطرف.

ولذلـك فإن التطـرف العنيف (الإرهـاب) ليس منتجًا لأيدلوجيـا معينة، بـل ليس منتجًـا أيدلوجيًّـا خالصًا؛ لأن الممارسـات المتطرفة قد تصـدر أثناء احتجاجـات فئوية، أو مطالـب سياسـية، أو حتى أعمال شـغب دافعها كراهية غير قائمـة عـلى فكـرٍ أو أيدلوجيـة، وكذا فـإن التطـرف الناتج عـن مسـار أيدلوجـي لا يلتـزم بأيدلوجيا مخصوصـة، فأي أيدلوجيا قـادرة على صناعة التطرف العنيـف، وبالتالي فإن التطـرف العنيـف (الإرهـاب) هـو فئـة متميزة أوسـع من الإرهاب، لأنه يشـمل أيضًا العنـف الذي لا يقوم على فكرٍ أو أيدلوجيـة، أو الإجراءات التـي وإن كانت تعتبر إرهابية في طبيعتهـا من قبل البعض إلا أنها ليسـت محـددة قانونًا في حد ذاتها. وعلى ذلك فالتطرف العنيف هو عملية ديناميكية حيث يتقبل الفرد العنف الإرهابي باعتباره مجرد عمل ممكن وربما عمل شرعي[٦٣].

وبطبيعـة الحـال فإن تلـك المرحلة من مراحـل التطرف هـي المرحلـة الأخطـر، حيـث تتجسـد الأفـكار المتطرفـة والأقـوال المنظـرة للعنف والإرهاب إلى واقـع أليم تكتوي بناره المجتمعات على اختلاف دياناتها وأجناسها وأعراقها، وقد رصد مرصد الفتاوى التكفيرية والآراء المتشددة التابع لدار الإفتاء المصرية، في مؤشر الإرهاب الأسـبوعي، الذي

يهتم بتتبع العمليات الإرهابية ورصدها وإجراء تحليل لها، على سبيل المثال لا الحصر، عدد (١٠) عمليات إرهابية تم تنفيذها خلال الأسبوع الأول من يونيو ٢٠١٩م، استهدفت (٧) دول مختلفة هي (أفغانستان، العراق، إندونيسيا، سوريا، لبنان، ليبيا، مصر) في مناطق جغرافية متباعدة نفذها أكثر من جماعة متطرفة مختلفة التوجُّه، راح ضحية تلك العمليات الإرهابية ٥٤ قتيلًا و٦٠ جريحًا[٦٤].

والتطرف العنيف (الإرهاب) ليس له نمطية معينة، فقد يمارس في إطار تنظيمي، أو في إطار ارتجالي، وقد يكون فرديًّا أو جماعيًّا، إلا أن الغالب أن التطرف العنيف يتم من خلال عمل تنظيمي له استراتيجيات محددة لكل من التجنيد والتمويل والتنفيذ والإعلام، ولكل واحدة منهم أدواتها التي تحقق الغايات المرسومة في منظومة العنف الخاصة بهم.

كما تحافظ تلك التنظيمات والجماعات على سرية العلاقات التي تربط بين أفرادها بشكل بالغ، وتسعى دائمًا إلى تقديم التبريرات الكافية للمنتمين لها بضرورة العمل في سرية تامة حفاظًا على مشروعهم وأهدافهم التي يسعون إلى تحقيقها.

ويعتمد رواد التطرف العنيف (الإرهاب) والعمل

الإرهـابي عـلى تقديـم الأسـباب اللازمـة للمنتمـين لهم في الفكر أو المحتمل انتماؤهم وانضمامهم إليهم التي تسوِّغ لهم اسـتخدام العنف تجاه المجتمع أو السـلطة، وتبدأ في شرعنة ذلـك العنف المسـتخدم مـن خلال إبـراز تلك الأسـباب، وخلـق الدوافع الكافية لدى الفئات المسـتهدفة في ممارسـة العنف والعمل المسـلح، والتبشـير بمآلات الأعمال العنيفة والإرهابية في الدنيا وفي الآخرة.

وعـلى كل حال فـإن الإحصائيات التـي ترصد الأعمال الإرهابيـة ومظاهر التطـرف العنيف (الإرهـاب) تدل على التنامي الكبير لتلك الظاهرة، وعلى التوسـع والتزايد المطرد فيها، مما يسـتدعي اتحاد كافة الجهـود لمواجهة تلك الظاهرة والسـعي إلى تقويضها والقضاء عليها، كما سـيأتي بيان ذلك في اسـتراتيجيات مكافحة التطرف على المسـتوى الإقليمي والوطني والدولي.

ليس كل متطرف إرهابيًا
وليس كل متشدد إرهابيًا
لكن بالضرورة كل إرهابي متشدد ومتطرف

الفصل الثالث

مصادر التطرف

تمهيد وتقسيم:

إن إنتاج الهوية المتطرفة لا يسير دائمًا على وتيرة واحدة؛ فصناعة التطرف والشخصية المؤمنة بأنه خيارها الأساسي أمر معقد، يرتبط بعدة عوامل خارجية متعلقة بالسياق المجتمعي وتقلباته وظروفه الراهنة، التي تعد البيئة الحاضنة، وبعوامل أخرى تتعلق بسمات المتطرف ذاته، وإشكالاته السيكولوجية، وهي محفزات التطرف، وفي إطار تلك المحددات تتم عملية التحول والاتجاه نحو التطرف، وتصنع الهوية الجدية للشخص المؤمن بالخيارات العنيفة والصدامية.

والذي يجب تأمله هو أن الجانب المعرفي في إنتاج الهوية المتطرفة هو الحلقة الأضعف والأقل تأثيرًا في تكوين وصناعة ظاهرة التطرف، وليس المراد من ذلك بطبيعة الحال التقليل من شأن الكتب والمواقع والقنوات المُنظِّرة للأفكار المتطرفة، ولكن المراد هو التأكيد على أن تلك المصادر المعرفية هي وسيلة استعمارية للعقول، تحاول استغلال العوامل والدوافع الاجتماعية والنفسية لدى الشخص، لتأخذ موقعها في ثقافته وعقله، وتعمل على إحلال تصورها

ورؤيتها للعالم والدِّيـن محل كافة الأفكار والمبادئ التي كان يعتنقهـا الشـخص، ويؤمن بهـا، ومن ثم فـإن تلك المصادر تسـتمد قوتهـا مـن التهيؤ الفعـلي لـدى الشـخص وقابليته للاتجاه نحو التطرف.

ولعـل الدليـل عـلى ذلـك أن تلـك المصـادر المعرفية لا تزال تجتـذب الجانب الأقل من الزخم الشـعبي، ولا زالت الأغلبيـة المتسـمة بالعقلانيـة والاتسـاق النفسـي تنحاز إلى الفكر المعتدل والوسطي.

فوظيفـة المصـادر المعرفيـة المتطرفة هي تدنيـس الوعي وتزييفـه لدى قطاع معين مسـتهدف، تحرص على اسـتلابه نفسـيًّا وبشـكل كلي، مما يؤهله للانقلاب التـام على مجتمعه وثقافتـه بشـكل مخيف يصـل إلى القطيعـة التامة مـع أقرب الدوائر الاجتماعية المحيطة به، ويصير ولاؤه المطلق للفكرة والجماعة التي ينتمي إليها.

ونعـرض في هـذا الفصل أبـرز تلـك المصـادر الفكرية والمعرفية التي تسـاعد في تكوين وبناء الهوية المتطرفة، سواء كانت كتبًا أو مواقـع إلكترونية أو صلات اجتماعية؛ وذلك من خلال أربعة مباحث:

المبحث الأول

الكتب.

المبحث الثاني

القنوات الفضائية.

المبحث الثالث

وسائل الإعلام الإلكتروني.

المبحث الرابع

الاجتماع البشري مع المتطرفين.

المبحث الأول
الكتب

تُعتبر الكتب أهم مصادر التطرف على الإطلاق، وبعبارة أخرى فإن الكتب هي المصدر المعرفي الرئيس للمتطرفين، وما سواه من مصادر معرفية هو في الحقيقة فرع على ذلك المصدر، وذلك لسببين:

أولًا: أن محتوى المصنفات المدونة يتسم بالثبات والقدرة على مواصلة الحضور، بخلاف القنوات الفضائية والمراكز الإعلامية ومواقع التواصل الاجتماعي، فإنها قد تكون عرضة للتوقف نتيجة تتبع الأجهزة الأمنية لها في حالة وسائل الإعلام الإلكتروني، أو نتيجة تغير سياسات الدول الداعمة للتنظيمات الإرهابية في حالة القنوات الفضائية.

ثانيًا: أن الكتب تقدم نظريات متكاملة، وتصورات شاملة للقضايا التي تمثل الركيزة الأساسية للفكر المتطرف، كالدولة والتوحيد والجهاد، ونحو ذلك من المحاور الرئيسة التي يقدم المصنفون المتطرفون تصورًا ورؤية بإزائها، بينما تكون وظيفة مواقع التواصل والقنوات الترويج لتلك

النظريـات، ولذلـك تبقـى الكتـب هـي المرجـع الأصيـل والمصدر الأهم للجانب المعرفي.

وفيما يلي استعراض لنماذج من أهم الكتب التي رسخت لظاهـرة التطـرف والإرهـاب واعتمدت عليهـا التنظيمات الإرهابية بشكل ظاهر وكبير.

معالم في الطريق

«إن سـيد قطب هـو الذي وضـع دسـتور الجهاديين في كتابـه الديناميـت «معـالم في الطريق»، وإن سـيد هو مصدر الإحياء الأصولي».

هكذا صرح أيمن الظواهري زعيم تنظيم القاعدة، عام ٢٠٠١م، وهكـذا نظـرت التنظيـمات والجماعـات المتطرفة لسـيد قطـب، ولكتابه الخطير «معـالم في الطريق»، فالكتاب يعد الخطوة التأسيسـية الأهم للفكر التكفيري والمتطرف في العصر الحديث.

سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي

ولد عام ١٩٠٦م في إحدى قرى أسيوط، وقضى مرحلة كبـيرة من حياته مهتـمًّا بالأدب والشـعر، وانتمى إلى حزب الوفـد لفـترة، وبعد سلسـلة مـن التقلبات انتمـى أخيرًا إلى

جماعـة الإخـوان المسـلمين في سـنة ١٩٥٣م تقريبًـا، وعينه المرشـد العام وقتها حسـن الهضيبي رئيسًـا لقسـم الدعوة، وبدأ سـيد قطب في عرض أفكاره إلى أن انتهى إلى صياغتها في كتابـه الأخـير «معـالم في الطريـق» الـذي لخـص فكرتـه المتطرفة ونظريته الإرهابية.

إن كتـاب سـيد قطـب يعـد الخطـوة التأسيسـية الأولى والأهم للفكر المتطرف في العصر الحديث

قدم سـيد قطب في كتابه طرحًا شموليًّا مستندًا على عدة أفكار أهمها على الإطلاق فكرة «الحاكمية»، التي اسـتعارها سـيد قطب مـن فكر الخوارج، واسـتعملها بمعنـى متطابق لأدبياتهم، فحكم على سـائر الحكومـات الحالية بأنها كافرة، فقـال: «كذلك لا ينبغي أن تقوم في نفوس أصحاب الدعوة إلى الله تلك الشـكوك السـطحية في حقيقة الجاهلية وحقيقة الإسـلام، وفي صفـة دار الحرب ودار الإسـلام. . فمن هنا يؤتـى الكثـير منهـم في تصوراتـه ويقينه. . إنه لا إسـلام في أرض لا يحكمهـا الإسـلام ولا تقوم فيهـا شريعته، ولا دار إسـلام إلا التـي يهيمـن عليهـا الإسـلام بمنهجـه وقانونه، وليـس وراء الإيـمان إلا الكفـر، وليـس دون الإسـلام إلا الجاهلية. . وليس بعد الحق إلا الضلال. . .»[٦٥].

ومن ثم فإن الدولة الإسلامية وفق تصوره لا تقوم إلا بالجهاد لإزاحة كل من يقف في طريق «أن يكون الدين كله لله «، يقول : «والإسلام ليس مجرد عقيدة، حتى يقنع بإبلاغ عقيدته بوسيلة البيان، إنما هو منهج يتمثل في تجمع تنظيمي حركي يزحف لتحرير كل الناس، والتجمعات الأخرى لا تمكنه من تنظيم حياة رعاياها وفق منهجه هو، ومن ثم يتحتم على الإسلام أن يزيل هذه الأنظمة بوصفها معوقات للتحرير العام، وهذا – كما قلنا من قبل – معنى أن يكون الدين كله لله، فلا تكون هناك دينونة ولا طاعة لعبد من العباد لذاته، كما هو الشأن في سائر الأنظمة التي تقوم على عبودية العباد للعباد!»[٦٦]

وأما الفكرة الثانية التي اعتمد عليها قطب فهي فكرة دار الإسلام، فحكم قطب بجاهلية المجتمعات الإسلامية، يقول: إن المجتمع الجاهلي هو كل مجتمع غير المجتمع المسلم!. وإذا أردنا التحديد الموضوعي قلنا: إنه هو كل مجتمع لا يخلص العبودية لله وحده..متمثلة هذه العبودية في التصور الاعتقادي، وفي الشعائر التعبدية، وفي الشرائع القانونية..وبهذا التعريف الموضوعي تدخل في إطار «المجتمع الجاهلي» جميع المجتمعات القائمة اليوم في الأرض فعلًا»

وهنا أرسى قطب لنظرية الصراع الإثني الأبدي، فجعل العالم قسمين: قسم مؤمن، وقسم جاهل، وهو ما تلقفته سائر التنظيمات والجماعات المتطرفة وجعلته مبدأ كليًّا تمارس تحت غطائه أعمالها.

الفريضة الغائبة

مثَّل كتاب «الفريضة الغائبة» لمحمد عبد السلام فرج نقلة كبيرة للفكر المتطرف، حيث ألقى الكتاب على كاهل المتطرفين عناء البحث في كتب التراث عن نصوص يستطيعون تأويلها لتدعم أفكارهم، أو الاعتماد على مقالات وقصاصات من هنا وهناك، ليؤلف لهم أول الكتب التي نظَّرت للعنف والتكفير بشكل مركز ومباشر.

ولد محمد عبد السلام فرج في أوائل ستينيات القرن الماضي، وتخرج من كلية الهندسة، ومال إلى دراسة العلوم الدينية وتأثر بشكل بالغ بكتابات سيد قطب لا سيما معالم في الطريق، وألف كتابه «الفريضة الغائبة» عام ١٩٧٩م، واشترك فرج في عملية اغتيال الرئيس المصري محمد أنور السادات، وألقي القبض عليه، وقدم إلى المحاكمة العسكرية التي قضت بإعدامه، وتم تنفيذ الحكم في أبريل ١٩٨٢م.

وعلى الرغم من أن «فرج» كان مخلصًا لنظرية سيد قطب وتصوره في «معالم في الطريق»، إلا أنه كان أشد

صراحة منه، وأراد أن يؤسس لمشروع «جهادي» متكامل، فجزم بعبارات ظاهرة لا تحتمل التأويل بكفر المؤسسات الحاكمة في الدول الإسلامية، يقول فرج: «فحكام هذا العصر في ردة عن الإسلام ... فهم لا يحملون من الإسلام إلا الأسماء، وإن صلوا وصاموا وادعوا أنهم مسلمون»[٦٧].

وفي سنة ١٩٦٦م حُكم عليه بالإعدام بعد محاكمة علنية ثبت فيها تشكيله مع آخرين تنظيمًا سريًّا مسلحًا يهدف إلى تغيير نظام الحكم القائم بالقوة باغتيال السيد رئيس الجمهورية والقائمين على الحكم في البلاد وتخريب المنشآت العامة وإثارة الفتنة في البلاد، وتزودوا في سبيل ذلك بالمال اللازم، وأحرزوا مفرقعات وأسلحة وذخائر، وقاموا بتدريب أعضاء التنظيم على استعمال هذه الأسلحة والمفرقعات، وحددوا الأشخاص المسئولين الذين سيجري اغتيالهم، وعاينوا محطات توليد الكهرباء والمنشآت العامة التي سيخربونها، ورسموا طريقة تنفيذ ذلك، وتهيئوا للتنفيذ الفعلي، وعينوا الأفراد الذين سيقومون به، وحالَ ضبطُهم دون تمام مؤامراتهم. وكان هو أحد المتولين زعامة التنظيم.

ثم بيَّن فرج أن السبيل الوحيد إلى إقامة دولة الإسلام المنشودة هو الجهاد، والذي هو فرض عين على كل مسلم،

وأن ما سواها من سبل كالدعوة إلى الله تعالى، وطلب العلم، وأعمال الخير لا تأثير لها، ولا يمكن أن تحرز تقدمًا في ذلك الشأن، وهو بذلك يقطع الطريق على سائر التيارات الإسلامية التي اعتمدت مناهج الدعوة والعمل الخيري ونشر العلم منهجًا إصلاحيًّا.

وبعد ذلك ينتقل فرج إلى أهم ما طرحه في كتابه، وهو «قتال العدو الأقرب»، وعنى بهم الحكام المسلمين في البلاد الإسلامية، وذلك المبدأ الذي أسس له فرج في كتابه هو ما تلقته التنظيمات المتطرفة واعتمدته، وعلى أساسه نفذت العديد من العمليات الإرهابية التي استهدفت منشآت وشخصيات ومؤسسات، كان أبرزها قتل الرئيس المصري محمد أنور السادات، والذي قام محمد عبد السلام فرج بالتخطيط له بنفسه.

وشرع الكاتب في محاولة شرعنة قتل الجنود المسلمين من منتسبي أنظمة الجيش والشرطة في الدول الإسلامية، وحاول إثبات أنهم «كفار» لانتسابهم إلى المؤسسات التابعة للحكومات في البلاد الإسلامية والتي يرى كفرها، وبطبيعة الحال فإن هؤلاء المنتسبين لهم كفار مرتدون أيضًا لكونهم من أعوانهم[٦٨].

وأخيرًا وضع فرج عدة توصيات خططية للجماعات المتطرفة لتكون مبادئ عامة في أعمالهم الإرهابية.

كان «فرج» مخلصًا لنظرية سيد قطب في الجملة، إلا أنه كان أشد صراحة منه في إطلاق أحكام التكفير بعبارات ظاهرة لا تحتمل التأويل

إدارة التوحش

هو أحد أهم الكتب التي وضعت تصورًا مكتملًا لاستراتيجيات الجماعات الإرهابية والمتطرفة، ولهذا اكتسب ذلك الكتاب خطورته؛ لأنه تعدى كونه منظِّرًا لبعض الأفكار المتطرفة الموجهة إلى الشباب بهدف تحفيزهم أو تهيئتهم للانحراط في الأعمال الإرهابية، بل مثَّل الكتاب دليلًا حقيقيًّا لاستراتيجيات ممارسة العنف وصنع الفوضى واستغلالها لصالح التنظيمات المتطرفة، وليس أدل على ذلك من اعتماد الكثير من التنظيمات المتطرفة على الاستراتيجيات المضمنة داخل ذلك الكتاب في هجماتها وخططها، كتنظيم داعش الذي ظهر بعد تأليف كتاب إدارة التوحش بسنوات، إلا أنه اعتمد عليه بشكل كبير.

وعلى الرغم من شهرة كتاب إدارة التوحش في الأوساط المتطرفة إلا أنه لا يمكن الجزم بمؤلفه الحقيقي، حيث ترددت

نسبته بين شخصين، الأول هو أبو مصعب السوري، أو عمر عبد الحكيم، والذي له العديد من المؤلفات المشابهة، والثاني هو أبو بكر ناجي، محمد خليل الحكايمة، الذي قتل في باكستان بغارة أمريكية عام ٢٠٠٨م.

والأشهر أن مؤلفه هو أبو بكر ناجي، وهو ما أكدته العديد من المصادر المطلعة بحسب جريدة الشرق الأوسط، وهو من مواليد ١٩٦١م، وانضم إلى تنظيم القاعدة بعد مبايعته لأيمن الظواهري في التسعينيات، وعمل في بيشاور بشمال غربي باكستان، في مجال الإعلام، ثم في إذاعة فلسطين من إيران في ذلك الوقت، قبل أن ينتقل إلى بريطانيا طلبًا للجوء السياسي، ومن هناك رحل مرة أخرى إلى إيران مع أسامة حسن، صهر الظواهري، ومنها إلى إقليم وزيرستان الباكستاني الحدودي، وفي عام ١٩٩٩م بُعيد وصوله إلى بريطانيا أصدر جاك سترو، وزير داخلية بريطانيا يومذاك أمرًا باعتقاله لقوة علاقته برفاعي طه المسئول العسكري لما يسمى بـ«الجماعة الإسلامية»، ومهندس محاولة اغتيال الرئيس المصري الأسبق حسني مبارك في أديس أبابا سنة ١٩٩٥م، ففر إلى إيران، ثم الشريط الحدودي في أفغانستان، وظل في التنقل إلى أن تم قتله في باكستان عام ٢٠٠٨م[٦٩].

ويقع الكتاب في حوالي (١١٠) صفحة، وتدور فكرة الكتاب الرئيسة حول اختيار بعض الدول «المرشحة» لأن تكون محلًّا لـ «الفوضى المتوحشة»، وتلك البلاد في تقدير الكاتب ابتداء هي نيجيريا واليمن والسعودية وباكستان والأردن والمغرب، واعتبر المؤلف أن ذلك الاختيار اختيار مبدئي، وقد يتغير وفقًا لتغير الظروف والأحداث، ليشمل أي بلد عربي أو إسلامي على وجه العموم، وتهدف استراتيجية الكتاب إلى إنهاك وإضعاف الحكومات في البلاد الإسلامية واستنزاف قوتها بالقيام بالعديد من العمليات الإرهابية، مما يؤدي في النهاية إلى خلق حالة من الفوضى «المتوحشة» الناتجة عن الفراغ الإداري والسياسي في تلك البلدان، والتي يجب استغلالها وإدارتها من خلال التنظيمات والجماعات المسلحة.

وبطبيعة الحال فإن المؤلف لم يعبأ بالأضرار التي قد تلحق بالوطن وتماسكه نتيجة لتلك الفوضى المتوحشة التي يسعى الكتاب إلى بيان كيفية إدارتها، بل إنه أكد على التغاضي عن تلك الدعوات التي تطالب بضرورة الحفاظ على الوطن والمصالح الوطنية!، وجاء فيه «وهنا لا بد من التنبيه على ضلال دعوة بعض قادة الحركات المهترئة بوجوب الحفاظ على النسيج الوطني أو اللُّحمة الوطنية

أو الوحدة الوطنية، فعلاوة على أن هذا القول فيه شبهة الوطنية الكافرة، إلا أنه يدل على أنهم لم يفهموا قط الطريقة السننية لسقوط الحضارات وبنائها»[٧٠].

مسائل في فقه الجهاد

إذا كانت مشاهد قطع الرءوس وذبح الرهائن والمدنيين والتمثيل بالجثث، وغيرها من المشاهد التي بثها تنظيم داعش ومن قبله فصائل الزرقاوي قد أفزعت المتابعين في كافة أنحاء العالم، فإنها كانت عند البعض الآخر واجبًا شرعيًّا، و«عنفًا مقدسًا»، هذا ما رسخ له، وحاول شرعنته أبو عبد الله المهاجر في كتابه «مسائل من فقه الجهاد».

والمعلومات المتاحة عن المهاجر قليلة جدًّا، حتى أن اسمه ليس معروفًا، إلا أنه مصري الجنسية، شارك في القتال في أفغانستان، وبعد الغزو الأمريكي لأفغانستان هرب نحو إيران ليعتقل سنة ٢٠٠٢م، ثم أُفرج عنه، وسلمته إيران للسلطات المصرية، وعقب الثورة المصرية ٢٠١١ م أُطلق سراحه، ليلتحق بالثورة السورية سنة ٢٠١٢م، وكان مع «جبهة النصرة» في المؤسسة الشرعية، دون أن يلتحق بتنظيم الدولة الإسلامية أو أن يعاديها ليجد حظوته عند التنظيمين، واغتالته الطائرات الأمريكية في إدلب السورية في شهر ديسمبر سنة ٢٠١٦م.

وتوطدت علاقة المهاجر في فترة عمله الحركي بشكل كبير بأبي مصعب الزرقاوي، وكان الأخير يعتز به ويحتفي بكتابه، وعندما أعلن الزرقاوي تأسيس «جماعة التوحيد والجهاد» أواخر سنة ٢٠٠٣ م، كان يحمل معه كتاب أستاذه أبي عبد الله المهاجر «مسائل في فقه الجهاد». وقام لاحقًا بطبعه وتوزيعه على أعضاء الجماعة، ليكون المنهج العملي في ممارسة الفعل الجهادي في العراق، وكان الزرقاوي قد نشر كتاب «فقه الدماء» على نطاق واسع بالنشر والتدريس والتلقين. ولم يَكُفَّ الزرقاوي عن الاستشهاد به في كل خطبة لتبرير ذبح الرهائن وقطع الرءوس والتنكيل بالجثث وحرق الأسرى[٧١].

ويقع كتاب المهاجر فيما يقرب من (٧٠٠) صفحة، ويتناول ٢٠ مسألة من مسائل «الجهاد»، يفتتحها بالمسألة الكبرى التأسيسية التي يبني عليها مشروعية عمليات القتال والاغتيال والحرق والخطف وسائر الممارسات الإرهابية، فقسم العالم إلى دارين، حرب وإسلام، ثم خلص إلى أن البلاد الإسلامية الحالية هي في الحقيقة دار حرب ودار كفر.

وبدأ المهاجر بعد مسألته التأسيسية في الانتقال إلى عدة مسائل يؤصل في كل منها لما يتبعها من ممارسات عنيفة

ومتطرفة، فيتناول مسألة «العصمة» ويؤكد على أن كل كافر لم يؤمنه أهل الإسلام بعهد أو أمان فلا عصمة لدمه أو ماله، وبطبيعة الحال فإن «أهل الإيمان» لا ينطبق على فئة معينة ولا يدخل فيه حكومات الدول الإسلامية والعاملون في مؤسساتها وقطاع كبير وغالب من أبناء الأمة الإسلامية، مما يؤدي في النهاية إلى إباحة دم غير المسلمين بشكل مطلق، وعلى هذا النحو يستمر المهاجر في شرعنة أعمال الاغتيالات والتفجيرات التي تطال المنشآت والمؤسسات، ثم يضع تأصيلًا لمسائل قطع الرءوس والذبح، ويرى أنه أمر «مقصود محبوب إلى الله ورسوله»(٧٢)

تعدَّى كتاب إدارة التوحش وضع الأطر النظرية للفكر المتطرف، ليكون دليلًا متكاملًا لاستراتيجيات ممارسة الإرهاب وصنع الفوضى.

دعوة المقاومة الإسلامية

«الإرهاب فريضة والاغتيال سنة» هكذا كان يرى أبو مصعب السوري مؤلف كتاب «دعوة المقاومة الإسلامية». هو مصطفى عبد القادر حسين، أو أبو مصعب السوري، وهو من مخضرمي التنظيمات المتطرفة، انضم لجماعة الإخوان المسلمين بسوريا، متأثرًا بكتابات سيد قطب،

وتلقى تدريبه الأول على أحد كوادر الإخوان المسلمين، وقد أشار إليه في كتابه المذكور دون أن يسميه، ثم ساهم في تأسيس تنظيم القاعدة في أفغانستان، ثم سجن فترة في سوريا وخرج من محبسه عام ٢٠١٢ م، وتضافرت الأخبار على انضمامه لداعش في سوريا.

صدر الكتاب عام ٢٠٠٤م، وهو كتاب ضخم يقع في جزأين من (١٦٠٠) صفحة، تناول الجزء الأول الجوانب التاريخية للتيارات الإرهابية، وما أسماه جذور النظام الدولي ومسار الصراع، إلى أن انتهى إلى الجزء الثاني والذي يضم نظرياته التطويرية لاستراتيجيات التنظيمات. يقول في كتابه: «وما أقدمه هو في معظمه أفكار من نوع قضايا (الرأي والحرب والمكيدة). ولاسيما ما يختص منها بقطاع العمل التطبيقي للجهاد في عالم ما بعد سبتمبر كما أتصورها»[٧٣].

والحقيقة أن ما قدمه أبو مصعب في كتابه كان بالفعل تطويرًا حقيقيًّا في استراتيجيات وأهداف الجماعات المتطرفة، فبجانب كلامه عن أسس الإعداد والتدريب والتمويل والجانب الإعلامي للتنظيمات، إلا أن ما قدمه تحت ما سماه «نظرية الجهاد الفردي» هو بيت القصيد

مـن كتابه، وهو أبـرز ما قدمه، وهو على حـد تعبيره «جهاد الإرهاب الفردي والعمل السري للسرايا الصغيرة المفككة عـن بعضهـا كليًّـا»، حيث يـرى المؤلـف أن هـذا النوع من «الإرهـاب الفـردي» -على حـد تعبيره- هو الذي يتسـبب في إنهـاك العـدو وانهيـاره، ومـن ثـم يمهد لجهـاد الجبهات المفتوحة للسيطرة على الأرض وإقامة الدولة.

وشرع أبـو مصعب بعـد ذلك في تناول الجهـاد الفردي وحرب العصابات وأصولها بإسهاب كبير.

وفي إطار شرح نظريته حدد أبو مصعب الساحات التي يمارس بها الإرهاب الفردي، وهي:

بلـدان الجزيرة العربية والشـام ومصر والعـراق، وبلدان شمال إفريقيا من ليبيا إلى موريتانيا، وتركيا والباكستان وبلدان وسـط آسيا، وباقي بلدان العالم الإسلامي، وحلفاء أمريكا في بلـدان العالم الثالـث، ودول أوروبا الحليفـة لأمريكا الداخلة معهـا في الحـرب، وفي قلـب أمريـكا ذاتهـا، أي أن المسـاحة الجغرافية التي حددها الكاتب تشمل أغلب دول العالم.

أمـا الأهـداف التـي يمكـن للعصابـات أو الإرهابيـين المنفرديـن اسـتهدافها فشـملت الشـخصيات السياسـية الرئيسـة، والأهـداف الاقتصاديـة الاسـتراتيجية الكبرى،

والمراكـز الإعلاميـة، ومراكـز المعلومات، وغيرهـا، ولكن أخطـر الأهـداف التـي صرح بهـا أبـو مصعـب في مدونتـه الإرهابية هو «المدنيون»، وقد جعل لذلك سببًا، وهو الردع والمعاملـة بالمثـل، فقـال: «ردًّا عـلى عمل وحـشي قامت به أمريكا وقواتها الحليفة؛ فالهدف الذي يردع الدول ويسـقط الحكومات هو المجازر البشرية الجماعية، وذلك باسـتهداف التجمعـات البشرية لإحداث أكبر كمية ممكنة من الخسـائر البشريـة، وهـذا سـهل جـدًّا لكثـرة الأهـداف كالملاعـب الرياضية الحاشـدة والحفلات السـنوية الجماعية والمعارض الدوليـة الكبرى والأسـواق المزدحمة وناطحات السـحاب والعمارات المزدحمة...إلخ»[٧٤].

فـشرع للإرهابيـين اسـتهداف الملاعـب والحفـلات والتجمعـات لعمل «مجازر بشرية» على حـد وصفه، ويبدو أن المصنـف أراد أن يعطـي جانبًـا أخلاقيًّـا لاسـتهداف المدنيين، فاستثنى النسـاء والأطفال إذا انفردوا عن الرجال في أماكـن مخصصـة لهـم كالمـدارس وسـواها مـن المجـازر البشرية للمدنيين!!!

ولا شـك أن تعليـمات أبي مصعـب السـوري في كتابـه سـارت بين أعضاء التنظيـمات المتطرفة واحتفـوا بها احتفاء

كبيرًا، وأخلصوا لها إخلاصًا تامًّا، ولا يخفى أن تنظيم داعش قد استفاد من كتاب السوري واتبع استراتيجياته التي أرساها في العديد من العمليات الإرهابية التي أودت بحياة العديد من الضحايا المدنيين، ونجحت في صنع العديد من «المجازر البشرية» التي بشر بها أبو مصعب في كتابه.

اعتبر أبو مصعب السوري أن ارتكاب «مجازر بشرية» في حق المدنيين عملًا مشروعًا للتنظيمات الإرهابية.

ما قدمه السوري في كتابه يعد تطورًا حقيقيًّا في استراتيجيات الإرهاب، وبخاصة نظرية «الجهاد الفردي»

العمدة في إعداد العدة

أحد المصنفات التي اعتمدت عليها الجماعات الإرهابية في أفغانستان، ومؤلفه هو سيد إمام الشريف، مصري الجنسية من مدينة بني سويف، عمل تحت اسمين حركيين، وهما دكتور فضل، والآخر عبد القادر عبد العزيز، ترك مصر عام ١٩٨٠م، وزامل الظواهري زعيم تنظيم القاعدة، وانتقل معه إلى أفغانستان، وعمل كمسئول للجنة الشرعية لجماعة الجهاد، وتم سجنه أكثر من مرة.

ويعد كتاب «العمدة في إعداد العدة» هو الأصل الذي اعتمدت عليه التنظيمات المسلحة في أفغانستان وفي

بدايـة تكوين التنظيمات الجهاديـة في مصر، ويعتمد الكتاب على النمطيات التي اسـتقرت في الفكـر الجهادي المتطرف، فيؤكد على كفر الحكام في البلدان الإسلامية، فيقول: «ومن هـذا تدرك يا أخـي المسـلم أن النظم البشريـة المخترعة من قوانـين وضعية وديمقراطية واشـتراكية وشـيوعية وغيرها مـن الضلالات التـي ما أنـزل الله بها من سـلطان هي كلها كفـر بواح، وتدرك أيضًا أن حكم الطواغيت القائم -بكثير من بلدان المسلمين- على هذه النظم هو عدوان صارخ على ألوهية الله تعالى لخلقه في هذه الأرض»[٧٥].

ويرى سـيد إمام أن الأصل فى علاقة المسـلمين بغيرهم هـو الجهاد والقتال، وأن دار الحـرب أو دار الكفر هي التي لا يطبق فيها أحكام الشريعة، ويتحدث عن وجوب الهجرة وطـرق إعـداد المقاتلـين، ويؤكد عـلى ضرورة قتـال العدو الأقرب، وهي الحكومات في البلاد الإسـلامية، وأنهم أولى من قتال اليهود.

إلا أن سـيد إمـام تراجـع عـن أفـكاره تلـك في وثيقـة ترشـيد الجهاد، ولا شك أن ذلك التراجع أورثه هجومًا من الظواهـري ومن التنظيـمات والجماعات المتطرفـة، مما يفسر تراجـع الاعتماد عـلى مصنفـه والاحتفاء به عنـد الجماعات

حديثًا، وأكد إمام في وثيقة التراجع على خطأ بعض الأفكار، منها استهداف المدنيين والأجانب، يقول في وثيقة تراجعه: «وبعض من رأى أن يصطدم بالسلطات في بلاد المسلمين وعجز عن ذلك لجأ إلى مسالك جانبية لإزعاج السلطات، وذلك بضرب المدنيين أو الأجانب والسياح ببلاد المسلمين، وكل هذا غير جائز شرعًا، وإنما ألجأهم إلى ذلك تكليفهم أنفسهم بما لم يوجبه الله عليهم، فعالجوا الخطأ بخطأ ثان».

ملة إبراهيم

مثَّل كتاب أبي محمد المقدسي أو رسالته على وجه الدقة التي تتكون من ٧٨ صفحة امتدادًا لصياغة أدبيات التنظيمات والجماعات المتطرفة التي تعتمد على إبراز مفهوم الولاء والبراء كركيزة أساسية لتحقيق «التوحيد» بمفهومه السياسي الشامل من وجهة نظر تلك التيارات.

وأبو محمد المقدسي أو عاصم محمد طاهر البرقاوي، أحد منظِّري السلفية الجهادية، ولد بفلسطين سنة ١٩٥٩م، ودرس فترة بجامعة الموصل، ثم انتقل لدراسة العلوم الشرعية في المدينة المنورة، وتأثر تأثرًا كبيرًا بمشايخ الدعوة الوهابية، ويبدو هذا التأثر جليًّا في كتابه المشار إليه، فإنه

نقـل عنهـم في مواضع كثـيرة جدًّا، ولعـل أبـرز المفارقات أن المقـدسي نعى عـلى الدعـاة والعلماء في المملكـة إغراقهم في الجوانـب النظريـة للتوحيد، وقد نقـل عنهم في عشرات المواضع في كتابه!

وانتقـل المقـدسي إلى باكسـتان وأفغانسـتان في أكثر من مناسبة، وربطته صلات بتنظيم القاعدة وقادته كالظواهري وغيرهم، واستقر في الأردن.

وقد حاول المقدسي في كتابه إعطاء مفهوم الولاء والبراء عمقًا بحيث جعـل التوحيد الذي هو أصل الأصول وغاية البـشر مشروطًـا بتحقيـق الـولاء والـبراء، يقـول المقدسي: «وقـد يظن ظان أن ملـة إبراهيم هذه تتحقـق فى زماننا هذا بدراسـة التوحيـد ومعرفـة أقسـامه وأنواعه الثلاثـة معرفة نظرية وحسـب مع السكوت عن أهل الباطل وعدم إعلان وإظهار البراءة من باطلهم»[٧٧].

وهنـا يحاول المقـدسي تعميق قضية التوحيـد وإعطاءها البعـد السـياسي الـذي طالما شـكَّل نقطة انطـلاق التيارات الإرهابية والمتطرفة لتكفير المجتمعات والمؤسسات الحاكمة، وتبرير عملياتهم الإرهابية على الأراضي الإسلامية.

وعلى الرغم من أن المقدسي لم يصرح كغيره من منظِّري التيارات المتطرفة والإرهابية بتكفير المجتمع أو حكومات

الدول الإسلامية، وإهدار دمائهم، إلا أنه أومأ إلى ذلك وأشار إليه، بتأكيده على أن ذلك التوحيد «ملة إبراهيم» لا يأتي إلا بـ «قطع الرقاب ومفارقة الأحباب» يقول: «إن ملة إبراهيم هي طريق الدعوة الصحيحة التى فيها قطع الرقاب، ومفارقة الأحباب، أما غيرها من الطرائق والمناهج الملتوية والسبل المعوجة تلك التى يريد أصحابها إقامة دين الله دون أن يستغنوا عن المراكز والمناصب أو يفقدوا القصور والنسوان والسعادة فى الأهل والبيوت والأوطان فليست من ملة إبراهيم فى شيء، وإن ادعى أصحاب هذه الدعوات أنهم على منهج السلف ودعوة الأنبياء والمرسلين»[٧٨].

فكأن كتاب المقدسي يمثل تمهيدًا حقيقيًّا لعمل التنظيمات المتطرفة وتسهيل عمليات التجنيد والحشد؛ عن طريق تأصيله للقطيعة بين الفرد وبين مجتمعه تحقيقًا «للبراء منهم».

تراجع سيد إمام عن نظرياته في وثيقة ترشيد الجهاد التي تمثل مراجعة فكرية له ولأفكاره

حاول المقدسي في كتابه تعميق مبدأ الولاء والبراء وإعطاءه بعدًا سياسيًّا يخدم أفكاره في كتابه

إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام

وُلد ذلـك الكتاب من رحم تنظيم داعش، فمؤلفه أحد أبنـاء داعش البارين عثمان بن عبد الرحمـن التميمي، عمل كمسئول للهيئة الشرعية في تنظيم «دولة العراق الإسلامية» في عهد أبي عمر البغدادي، ثم عمل في الهيئة الشرعية لتنظيم داعش. وألَّف كتابه -بحسـب العدناني المتحدث الرسـمي باسم التنظيم، الذي قدم للكتاب بنفسه- ردًّا على الشبهات الدائـرة حول مشروعية قيام «الدولة الإسـلامية»، وقُتل في كمين أمريكي بعد تأليفه لذلك الكتاب.

والكتـاب كله يخدم فكـرة الدفاع عن تأسـيس «الدولة الإسـلامية» ومبايعـة البغـدادي «أمـيرًا للمؤمنـين»؛ فيبدأ الكتاب بأهمية قيام الدولة الإسلامية، ثم مشروعية قيام تلك الدولـة في العراق ممهدًا لذلك بذكر طرق تنصيب الإمام في الفقـه، والطريقة التي نُصِّب بها البغـدادي أميرًا للمؤمنين، وبعـده يتكلم عن واجبات الأمـير الشرعية ودواعي إعلان «الدولة الإسـلامية»، وأخيرًا يعرض الشبهات التي أُثيرت حول إعلان «الدولة»، ثم الدعوة إلى مناصرتها.

ويبـدو واضحًـا أن التميمـي ألَّـف كتابـه ليخاطـب به الجماعـات الإسـلامية عمومًـا، والجماعـات الضليعـة في

العمليات القتالية خصوصًا؛ فالتميمي هاجم الجماعات المسلحة الأخرى واتهمها بالمتاجرة باسم الجهاد لتحقيق مكاسب مادية، ثم ناقش الاعتراضات على قيام «الدولة»، والتي كانت تناقَش حينها من قِبَل ناشطين لهم علاقة بتنظيمات قتالية أخرى.

ويبدو واضحًا أن التميمي ألَّف كتابه ليخاطب به الجماعات الإسلامية عمومًا، والجماعات الضليعة في أعمال العنف خصوصًا

آيات الرحمن في جهاد الأفغان

سعى كل مصنف من المصنفات السابقة أن يخدم الفكر المتطرف والإرهابي بتقديم نظريةٍ كاملةٍ، أو طرح من شأنه تعميق تلك النظريات القائمة أو تطويرها أو خدمتها بوضع أطر ومسارات لتوسعها وخدمة أغراضها، إلا أن كتاب «آيات الرحمن» كان له مساره الخاص الذي اعتمد على الجانب الدعائي لخدمة الفكرة المتطرفة؛ فالكتاب في جملته محاولة لتحسين وتجميل صورة المقاتلين في أفغانستان، ودعوة للانضمام إليهم.

ومؤلف الكتاب عبد الله عزام من مواليد فلسطين، عام ١٩٤١م، انضم لجماعة الإخوان المسلمين منذ فترة

مبكـرة مـن حياتـه، وحصـل عـلى الدكتـوراه مـن مـصر عـام ١٩٧٣م، وبعـد رحلة بـين الأدرن والسـعودية ذهب عزام إلى بيشـاور في باكسـتان حيث أسَّس مكتب الخدمات ليكـون نقطـة تجمـع المتطوعـين العـرب. كـما أصـدر مجلة «الجهـاد» التي تدعو لقتـال «الكفار». وكان عـزام من أكثر الشـخصيات التـي أثَّـرت في تكويـن زعيم تنظيـم القاعدة الأشهر أسامة بن لادن، وقُتل في باكستان عام ١٩٨٩م.

افتتـح عزام كتابه بمقدمة طويلـة صدَّرها بإهداء لمحمد فرغـلي، القيادي بجماعـة الإخـوان، واصفًا إيـاه بـ«فضيلة الأخ المفضال الأستاذ الشيخ محمد فرغلي»، كما أهدى كتابه إلى يوسف طلعت، القيادي الآخر بالجماعة.

وبـدأ عـزام في سرد فصول الكتاب مبتدئًـا بعدة فصول يتنـاول فيهـا طبيعـة المعجـزة والكرامـة وكرامـات النبـي والصحابة، ثم شرع في ذكر حكايات خارقة مدعيًا حصولها للمقاتلين في أفغانسـتان، ومن ضمن تلـك الكرامات أنه لم يرَ «شـهيدًا» من هؤلاء المقاتلين قد نهشته الكلاب، بخلاف الشيوعيين الذين تنهشهم الكلاب، مدعيًا أن مقاتلًا قُتل في أرض المعركـة، وعندمـا نُقل إلى منزل أبيـه، وأراد والده أن يرى آية تدل على أنه شهيد، فقال له: «يا بني إن كنت شهيدًا فأرني آية»، فإذا بابنه يرفع يده ويسلم على أبيه.

وفي حقيقة الأمر فإن ما ذكره عزام في كتابه لا يحتاج إلى مناقشة أو نقد، فإنه ظاهر البطلان، إلا أن ما أسقط ادعاءاته كليًّا هي شهادة عصام دراز أحد المقاتلين العائدين من أفغانستان، والذي ألَّف بعد رجوعه كتابًا سماه «العائدون من أفغانستان ما لهم وما عليهم»، وتعرض في ذلك الكتاب لادعاءات عزام، وقال فيه: «لقد اختلفت مع الشهيد الدكتور عبد الله عزام في هذا الموضوع، وبدأت بجهد ذاتي أبحث عن الحقيقة بحياد وإخلاص ... وأستطيع أن أقول: إنني توصَّلت إلى نتيجة خطيرة، وهي أن موضوع الكرامات في أفغانستان هو صناعة عربية، وإذا كان قد حدثت بعض الكرامات -والله قادر على كل شيء- فهذا شيء مختلف تمامًا عمَّا ذكره الشهيد عبد الله عزام في كتابه.

لقد جلست مع مجاهدين تحدَّث عنهم عبد الله عزام، وجلست مع مجاهدين عاشوا في جبهات القتال سنوات طويلة، وكلُّهم دون استثناء واحد قرروا أنَّ ما ذُكر في كتاب «آيات الرحمن» كان ضربًا من ضروب المبالغة، وأنَّ بعضهم راجع الدكتور عبد الله عزام في هذا الأمر، وهناك من ناقشوه وعاتبوه على هذا الكتاب، بل هناك من اختلف معه بشدَّة إلا أنَّ الشهيد عبد الله عزام -وهو أكثر الناس معرفة بأنَّ معظم ما كتبه فيه مبالغة، ولم يحدث أصلًا-

كان يـرى أنَّ المبالغـة مطلوبـة لكـي يحبِّب الجهـاد الأفغاني إلى النـاس، وقد نجح بالفعل في تحبيـب الجهاد الأفغاني إلى النـاس، ومن ثَـم دعمه بالمـال، ولقد أطلق بعض الشـباب المجاهديـن على موضـوع الكرامات أنَّه أعظـم فكرة لجمع التبرعـات؛ فهـو مشروع مـالي ناجـح، وللأمانـة والتاريخ أقـول: لقد قمت باسـتقصاء عن الموضـوع بنفسي والتقيت بأكثر من ١٠٠ مجاهد عربي وأفغاني وسألتهم سؤالًا واحدًا: هل شاهدت كرامات في أفغانستان؟

كانت الإجابة بنسـبة ١٠٠٪ أنَّهم لم يشـاهدوا، ولكنهم سمعوا مجرد سماع»[٧٩].

المبحث الثاني
القنوات الفضائية

إن الرسالة التي يريد الإرهابيون إيصالها من خلال تنفيذ العمل الإرهابي لا تتجاوز المحيط الجغرافي لجريمتهم، ولا تمثِّل شيئًا يُذْكَر، لولا التدخل الإعلامي، فدخول ذلك العامل هو الذي يعطيها زخمها وانتشارها، ومن هنا جاء دور الإعلام كمصدر من المصادر المكوِّنة لظاهرة التطرف والإرهاب.

ولا شك أن وجود قناة فضائية تابعة لتنظيم أو جماعة متطرفة بشكل رسمي أمر بالغ الصعوبة، ولم يكن ليقدَّر للقنوات الفضائية أن تكون منبرًا إعلاميًّا للفكر المتطرف لولا تدخل بعض الدول لتقديم تلك المساعدة، فإن التقاء المصالح بين الجماعات الإرهابية وبين بعض الدول دفع الأخيرة لتقديم دعم غير محدود لتلك الجماعات من خلال قنوات فضائية أنشئت على عينها وبرعاية كاملة منها.

والأهداف التي تحققها الجماعات المتطرفة من خلال القنوات الفضائية الداعمة لها، تتنوع ما بين الترويج لهم عن

طريق نشر عملياتهم ولفت الانتباه إليها، والدعم المعنوي الحاصل لهم بذلك، وتصدير صورة ترهيبية يمكنهم استغلالها في التفوق نفسيًّا على الأجهزة الأمنية ووحدات مكافحة الإرهاب، فضلًا عن أفراد المجتمع، بالإضافة إلى تحسين صورتهم وتبرير أفعالهم، عن طريق إجراء لقاءات مع قادتهم، أو نشر مقاطع فيديو لهم يعرضون فيها أفكارهم، وغير ذلك.

وفيما يلي نذكر أبرز القنوات الفضائية الداعمة للجماعات المتطرفة:

إن التقاء المصالح بين الجماعات الإرهابية وبين بعض الدول دفع الأخيرة لتقديم دعم غير محدود لتلك الجماعات من خلال قنوات فضائية أنشئت على عينها وبرعاية كاملة منها.

قناة مكملين

تستغل الجماعة القناة في محاولة إشاعة الفوضى والتحريض على العنف الدائم، ببث الشائعات والبيانات الكاذبة والتحليلات المضللة، وتستعين القناة بمجموعة كبيرة من أعضاء جماعة الإخوان الذين هربوا من مصر بعد ثورة ٣٠ يونيو.

قناة الشرق

بـدأ بث القنـاة في أبريل عـام ٢٠١٤م، وتـرأس مجلس إدارتها باسم خفاجي، رئيس الأكاديمية السياسية الوطنية، ثم انتقلت ملكيتها في أغسـطس من عـام ٢٠١٥م إلى أيمن نـور، زعيـم حزب الغـد، ولا تختلـف قناة الـشرق عن قناة مكملـين، فكلاهمـا يبـث من تركيـا، وهو مخصـص لجماعة الإخـوان، لتحقيـق أجندتهـم الخاصـة مـن نـشر الفـوضى والتحريض المستمر ضد الدولة المصرية خاصة، وضد عدة دول عربيـة أخـرى كالمملكة العربية السـعودية والإمارات العربية وغيرها.

وتطلـق القنـاة الشـائعات بشـكل مسـتمر وبطريقـة عشـوائية، وقد كشـف عن مـدى الفسـاد الإداري وغياب المهنيـة الإعلامية للقناة الخلافُ الذي نُـشر بين العاملين في القنـاة وإدارتهـا بعـد تسريب محادثـة مع يـاسر العمدة أحد قـادة الإخوان، واعترف بحصول أعضاء الجماعة على تمويل شهري.

فقـام العاملون بقناة الشرق بالمطالبـة برفع رواتبهم، مما قوبـل بالرفـض من مالك القنـاة أيمن نـور، فقاموا بإعلان الاسـتيلاء عـلي الصفحـات الرسـمية للقناة ونـشر رواتب

المذيعين، واعترفوا بفبركة الأخبار، واستقال حسام الغمري، معلنًا أن معتز مطر الذي كان أبرز مذيعي القناة ينشر أخبارًا مفبركة، فأعلن غلق القناة يوم ١٦ يناير ٢٠١٨م قبل أن تعود القناة للبث مرة أخرى في ٢٥ يناير ٢٠١٨ م.

وقد عمل المجلس الأعلى لتنظيم الإعلام في مصر على رصد الشائعات التي تخرج من القنوات الداعمة للإخوان كالشرق ومكملين، وأظهرت لجان الرصد التابعة للمجلس أن هناك أكثر من ٦٣٠ خبرًا كاذبًا خلال عشرة أيام فقط، مما يعكس انهيار المعايير المهنية لدى تلك القنوات، وعملهم لتحقيق أجندات ومصالح خاصة بتنظيم الإخوان.

وقد نتج عن التنسيق والتواصل تسريح بعض الإعلاميين المعادين لمصر من القنوات العاملة بتركيا.

قناة الحوار

قناة عربية تُبث من لندن، بدأ بثها عام ٢٠٠٦م، من قِبَل عزام التميمي، وهو فلسطيني الجنسية، معروف بميوله ودعمه للإخوان، وهو مؤلف كتاب «حماس من الداخل»، وعلى الرغم من أن الإخوان ينكرون أي صلة لهم بقناة الحوار إلا أنه وفقًا لتقارير صحفية تبيَّن أنهم هم في الواقع من يديرون القناة[٨٠].

وعملت القناة في إطار الرؤية الاستراتيجية للإخوان، فمارست الضغط والتحريض على عدة دول عربية، ومن أبرز حملاتها الحملة ضد دولة الإمارات العربية المتحدة، وذلك بسبب ضغط الإمارات على المتشددين وأعضاء جماعة الإخوان، وقد استرسلت قناة الحوار في استهدافها للإمارات العربية المتحدة بأن بثت برنامجًا على الهواء مباشرة بعنوان «هل الإمارات مسئولة عما يحدث في مصر»، وبدأت في التحريض على الدولة، وكذا تمارس القناة الدور نفسه تجاه بلدان عربية أخرى.

المبحث الثالث
وسائل الإعلام الإلكتروني

شكَّل الإنترنت خيارًا أساسيًّا ومنطقيًّا في الوقت نفسه للتنظيمات والجماعات المتطرفة، للقيام بالدور الوظيفي للإعلام، ولمواجهة الهزائم المتتالية على الصعيد العسكري والأمني، وقد وضع أبو مصعب السوري يديه على تلك الإشكالية في كتابه «دعوة المقاومة الإسلامية»، في وقت مبكر، منبهًا على ضرورة إيجاد استراتيجيات بديلة، فقال في الكتاب المذكور بعد إقراره بفشل عمليات التجنيد المباشر، وسرده لأسباب التوجه نحو «الجهاد الفردي»: «فشل أسلوب عمل التنظيمات السرية الهرمية في ظل الهجمة الأمنية الدولية والتنسيق الإقليمي والدولي، وعجز التنظيمات السرية عن استيعاب كل شباب الأمة الذين يريدون أداء فريضة الجهاد والمقاومة بالمساهمة بفعلٍ ما، من دون الاضطرار للالتزام بتبعات الانتساب لتنظيم مركزي، واتساع تواجد العدو وتنوع أهدافه وتواجده في بقاع كثيرة يصعب أن تقوم فيها جبهات قتال كما يصعب أن تنشأ فيها

تنظيمات مركزية، وسقوط فكرة الجبهات والمواجهة الثابتة مع العدو نتيجة استخدام العدو لاستراتيجية الحسم الجوي بالقصف الصاروخي المدمر والرمايات الجوية الموجهة بالأقمار الصناعية التي تسيطر على الأرض، بل وترى ما تحت الأرض بفضل التكنولوجيا العالية- هو أمر يجب الاعتراف به والتخطيط للمواجهة على أساسه»[٨١].

ولذلك كان الإعلام الإلكتروني هو طوق النجاة الذي يحفظ لتلك التنظيمات المتطرفة بقاءها وانتشار أيدلوجيتها، وتجنيد عدد من المتطرفين يضمن بقاء تهديدها وعملياتها.

وبالإضافة إلى أن وسائل الإعلام الإلكتروني تحقق تفاعلًا كبيرًا مقارنة بالوسائل التقليدية، فإنها يمكن استخدامها كأداة للرصد والملاحظة والتجنيد والتمويل بشكل أكثر فاعلية من القنوات الفضائية.

ويظهر مدى أهمية الإعلام الإلكتروني لتلك التنظيمات من خلال تتبع حجم الإصدارات المنشورة على الإنترنت، والتي تتزايد بشكل كبير في السنوات الأخيرة، لا سيما مع التقدم التقني الكبير، واستعانة تلك التنظيمات بخبراء في ذلك المجال.

شكل الإنترنت خيارًا أساسيًّا ومنطقيًّا

في الوقت نفسه للتنظيمات والجماعات المتطرفة، للقيام بالدور الوظيفي للإعلام، ولمواجهة الهزائم المتتالية على الصعيد العسكري والأمني

وفيما يلي أبرز صور الإعلام الإلكتروني المصدِّرة للتطرف:

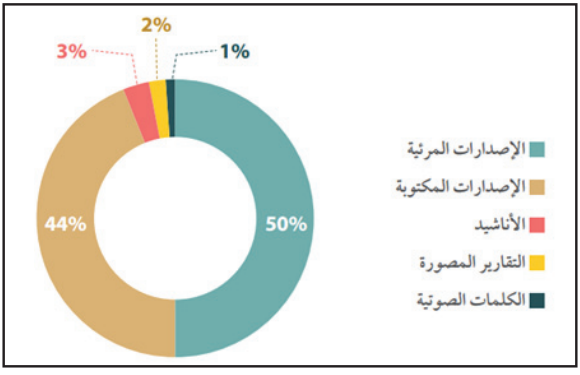

أنواع إصدارات التنظيمات الإرهابية ونسب الاعتماد عليها لعام ٢٠١٨-٢٠١٩ (المؤشر العالمي للفتوى)

يمكن استخدام الوسائل الإلكترونية كأداة للرصد والملاحظة والتجنيد والتمويل بشكل أكثر فاعلية من القنوات الفضائية.

أولًا: المؤسسات والمراكز الإعلامية.

- مؤسسة الفرقان

وهي أقدم المؤسسات الإعلامية التي استخدمها «تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)» منذ عام ٢٠٠٦م، وظلت تقوم بدورها كذراع إعلامية مهمة لتنظيم الدولة بعد تطوره، وبثت المؤسسة أكثر من ٢٠٠ فيديو إلى جانب الكلمات الخاصة بالبغدادي، والمتحدث الإعلامي لداعش أبو محمد العدناني، وأشهر إصداراتها «صليل الصوارم» بأجزائه المتعددة، بدءًا من صليل الصوارم (١) يوليو ٢٠١٢، وصليل الصوارم (٢) أغسطس ٢٠١٢، وصليل الصوارم (٣) يناير ٢٠١٢، ثم صليل الصوارم (٤) مايو ٢٠١٤، والذي يتضمن مشاهد من المعارك والاستعدادات، ومذابح حقيقية تحتوي على قطع الرقاب وتعليق الرءوس، وغيرها من المشاهد الصادمة.

وفي يونيو ٢٠١٤، قامت الفرقان بنشر سلسلة من الفيديوهات بعنوان «رسالة إلى أمريكا»، يقوم فيه أحد الأشخاص المنتمين لداعش بقطع رأس الصحفي الأمريكي جيمس فولي، وفي سبتمبر من العام نفسه نشرت فيديو آخر يحمل العنوان نفسه يتضمن قطع رأس صحفي أمريكي آخر

يدعى ستيفن سوتلوف، ثم بثت المؤسسة شريطًا مصورًا آخر في العام نفسه أيضًا بعنوان «رسالة إلى حلفاء أمريكا» يصور قطع رأس رهينة بريطاني يدعى ديفيد هينز.

ومن تلك الإصدارات الصادمة عملية إحراق الطيار الأردني معاذ الكسسابة، بعنوان «شفاء الصدور».

وإصدار يتضمن ذبح مجموعة من المسيحيين المصريين في ليبيا تحت عنوان «حتى تأتيهم البينة».

- مؤسسة السحاب

وهي الذراع الإعلامي لتنظيم القاعدة، بدأت إنتاجها عام ٢٠٠١م، وتوالت إصداراتها التي تنوعت ما بين أفلام وثائقية وإصدارات مرئية وصوتية لزعماء القاعدة، بالإضافة إلى المقاطع المصورة، وتخصص المؤسسة جزءًا من الموقع لتغطية أخبار جماعة «أنصار الشريعة» باليمن.

ومن أبرز ما قامت المؤسسة بنشره حلقات مع أيمن الظواهري زعيم تنظيم القاعدة تحت عنوان «أيام مع الإمام».

- مؤسسة الاعتصام

أسسها تنظيم داعش بعد توسعه في سوريا، في عام ٢٠١٣م، وهي من أكثر المراكز نشاطًا في نشر المواد الصوتية والمرئية،

ونشرت نحو مئة إصدار، أكثرها شهرة إصدار «فشرِّد بهم مَنْ خَلْفَهم»، ويغطي الجزء الأول منه معركة اللواء ٩٣ في الرقة، في أغسطس ٢٠١٤م، والجزء الثاني يغطي معركة مطار الطبقة في الرقة أيضًا في سبتمبر ٢٠١٤م.

- مؤسسة الكتائب للإنتاج الإعلامي

وهي الجناح الإعلامي لحركة الشباب المجاهدين الصومالية، وتقوم المؤسسة بعرض وتوثيق عمليات التنظيم في الصومال وكينيا وأوغندا، وبث كلمات لزعماء التنظيم.

ومن أشهر إصدارات المؤسسة سلسلة «واغْلُظْ عليهم» التي تعرض لعمليات التنظيم العسكرية والكمائن التي ينصبونها، وغير ذلك، وإصدار «لغير الله لن نركع»، و«لا عصمة إلا بإيمان وأمان»، الذي تضمن صورًا أثناء التجهيز لاقتحام مركز للشرطة الكينية في قرية باندانغوا في مقاطعة لامو، تلتها لقطات حية للاقتحام الذي انتهى بتمكن جنود الحركة من السيطرة الكاملة على مركز الشرطة الكيني، وقتل من فيه من جنود كينيين وحرق مقراتهم.

التابعة لمركز الحياة الإعلامي لتنظيم داعش، وتخصصت تلك القناة في نشر حوارات مع أعضاء التنظيم، وأهم ما تميزت به إصدار فيديوهات عالية الجودة والتطور التقني،

حيث يُظهر محتواها جانبًا من عمليات ومعارك التنظيم، ومن أشهر إصداراتها فيديو لهيب الحرب الذي ضم مشاهد بالغة في العنف، ويتضمن تغطية لمعارك عديدة لتنظيم داعش ورسالة موجهة لدول التحالف المشاركة في الحملة على التنظيم، وكان صدوره عام ٢٠١٤م، وتصدر فيديوهات القناة باللغة الأجنبية، وتحاول مخاطبة الدول الأجنبية بمحتواها.

- قناة الحياة

- مؤسسة المنارة البيضاء

وهي مؤسسة إعلامية تابعة لجبهة النصرة في سوريا، وقدمت المؤسسة عدة إصدارات مرئية وصوتية متنوعة تناولت كلمات لأبي محمد الجولاني زعيم التنظيم، وعدة إصدارات لعمليات ومعارك التنظيم.

وأشهر ما أصدرته المؤسسة نشرها لصورة واضحة للجولاني زعيم التنظيم، وكانت المرة الأولى التي يظهر فيها الجولاني.

- مؤسسة الأندلس للإنتاج الإعلامي

وهي مؤسسة تابعة لتنظيم القاعدة، وتعتبر هي الجناح الإعلامي للتنظيم في بلاد المغرب، وتقوم المؤسسة بنشر

مـواد صوتية ومرئية لنشـاطات التنظيم وزعمائه، وما يتعلق ببـلاد المغرب العربي، ومن أحدث ما نشرته المؤسسـة كلمة صوتيـة لأبي عبيـدة يوسـف العنابي، رئيس مجلـس الأعيان في تنظيـم القاعدة بالمغرب، تحت عنـوان «الجزائر والخروج من النفق المظلم» بدأهـا بتكفير الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة والنظـام الجزائـري كله، وبعدها حرض الشـعب الجزائري على «إسقاط النظام».

ومـن أكثـر إصـدارات المؤسسـة عنفًـا إصـدار بعنوان «الخونـة ٢» يظهـر فيه إعـدام لبعض الأشـخاص لاتهامهم بالخيانة.

- مؤسسة البشائر للإنتاج الصوتي

هي مؤسسة تابعة لجماعة أنصار الشريعة باليمن، وتتخصص تلك المؤسسة في نشر الصوتيات الصادرة عن الجماعة.

- مؤسسة أجناد

هـي المؤسسـة المسـئولة عـن إنتـاج الأناشـيد الجهادية لتنظيـم داعـش، بما يتوافـق مع أفـكار وتوجهـات الدولة، وكان أبـرز إنتاجاتها المسـموعة: نشـيد أمتي قـد لاح فجر، ونهضنا نهضنا، وموكب النور، وقد عزمنا، وغير ذلك.

- مؤسسة البتار الإعلامية

وهي من المؤسسات الغير تابعة تنظيميًّا لأحد التنظيمات المتطرفة والإرهابية، وكانت تقوم بجهود إعلامية لصالح التنظيمات المتطرفة مثل تفريق الكلمات الصوتية لزعماء التنظيمات، وتفريغ الإصدارات المرئية أيضًا.

ومن أشهر أعمالهم تفريغ الإصدار المرئي الذي نشره تنظيم داعش عما أسماه «بيعة» بعض مجاهدي الصومال للبغدادي زعيم التنظيم.

- مؤسسة الراية للإنتاج الإعلامي

وهي مؤسسة مستقلة أيضًا، عملت على نشر المواد المرئية والصوتية وأخبار التنظيمات المتطرفة والإرهابية.

ومن المواد التي قامت تلك المؤسسة بنشرها قيام ما يسمى بـ«الشرطة الإسلامية» التابعة لجماعة أنصار الشريعة في ليبيا بتنفيذ حكم الجلد في مجموعة من المواطنين أمام الناس.

- مركز الفجر الإعلامي

هو أحد المؤسسات الإعلامية التي تُقدِّم محتوى بالغ الخطورة، يتضمن كتبًا ومقالات وبرامج صوتية تحث على التطرف وممارسة العنف والأعمال الإرهابية.

ومـن أمثلـة مـا يقدمـة المركـز سلسـلة تعليميـة بعنوان «برنامج صناعة الإرهاب» في حلقات تتحدث عن التجنيد والتخطيط وما إلى ذلك من صناعة الإرهاب فعليًّا.

ثانيًا: المجلات الإلكترونية

- مجلة دابق

وهـي مجلة ورقية وإلكترونية شـهرية، بدأ تنظيم داعش في إصدارهـا عـام ٢٠١٤م، وتصـدر باللغتـين العربيـة والإنجليزيـة عـن مركـز الحيـاة أبـرز المراكـز الإعلاميـة لداعش، واهتمت المجلة بنـشر مقالات وتحليلات المنتمين للتيارات المتطرفة، واهتمت المجلة بجودة الورق والتصوير والإخراج الفني.

وكانـت المجلة تـوزع عـلى المناطـق التي يسـيطر عليها التنظيم في سوريا والعراق، وتُباع على موقع أمازون، إلى أن سحب الموقع النسخة الورقية والإلكترونية عام ٢٠١٥م.

- مجلة صدى الملاحم

وهـي مجلـة إلكترونيـة يصدرهـا القسـم الإعلامـي بتنظيـم القاعـدة في الجزيـرة العربية واليمن، بـدأ إصدارها عام ٢٠٠٨م.

وتقـوم المجلة بنشر أخبار التنظيم وبيانات قادته، ونحو ذلك مما يتعلق بالقاعدة والأفكار المنتمية إليها.

- مجلة دار الإسلام

وهـي مجلـة شـهرية إلكترونية تصـدر عن مركـز الحياة للإعـلام التابـع لتنظيـم داعـش، والمجلـة تصـدر باللغـة الفرنسـية، وبدأ إصدارها عـام ٢٠١٤م، وتهتم المجلة بنشر الأخبـار والمقـالات المتعلقـة بعمليـات التنظيم في فرنسـا، واحتفت المجلة بالهجمات الإرهابية التي نفذها مجموعة من الإرهابيين المنتمين فكريًّا لداعش في باريس عام ٢٠١٥م.

ومن أشـهر مـا نشرتـه المجلة مقابلـة أجريت مـع حياة بومديـن، زوجـة أميـدي كوليبـالي، المسـئول عـن احتجاز رهائـن في متجر كوشـير بباريـس، وقد أجـرت المجلة لقاءً مطولًا معها.

- مجلة رومية

وهـي مجلـة تصـدر عـن تنظيـم داعـش بثـماني لغـات (الإنجليزيـة والفرنسـية والألمانيـة والتركيـة والروسـية والإندونيسـية والبشـتو واليجور) ويظهر من عدد اللغات التي تصدر بها المجلة محاولة التنظيم لإرسـال رسالته لكافة

أنحاء العالم، وغالبًا ما تتضمن المجلة تهديدات لدول مختلفة بتنفيذ هجمات إرهابية على أراضيها وضرب مصالحها.

ومن أمثلة ذلك ما نشر في العدد الثالث عشر من المجلة، حيث تضمن تهديدات لدول أوربا بشن هجمات سوف ينفذها التنظيم في مدنهم، ومتوعدًا الدول المشاركة في التحالف الدولي بهجمات تطال كافة أراضيهم. كما أعلن مسئوليته عن عدة هجمات أخرى.

- موقع النداء

موقع إلكتروني أطلقه تنظيم القاعدة، عبر شبكة الجهاد، وتبيَّن من التحقيقات الأميركية أن تنظيم القاعدة استخدم شركات في كراكاس وبانكوك لاستضافة الموقع، وقام من خلاله بتوجيه رسائل إلى مناصريه وإعطاء تعليمات بشن هجمات جديدة.

وكان الموقع ينشر أخبارًا خاصة بالتنظيم، ومقالات لمناصريه، وكان في وقت من الأوقات الموقع الوحيد الذي يُستخدم لتوزيع بيانات القاعدة وحركة طالبان.

- وكالة أعماق

وهي وكالة الأنباء الرسمية لمؤسسة الإعلام عند داعش، وتقوم بنشر أخبار التنظيم السياسية والعسكرية

على مـدار السـاعة، وبثٍّ تسـجيلات مصـورة لمعاركه وما يتعلق بها، ورسـومات بيانية إخباريـة (إنفوغراف) توضح «إنجازاتـه» الميدانية، وتُفصح عن العمليـات ومنفذيها وما ترتب عليها.

وقـد شـنت الشرطـة الفيدراليـة البلجيكيـة ومكتـب الشرطـة الأوروبية «يوروبول»، هجومًـا إلكترونيًّا أدى إلى تعطيل عمل الوكالة.

- شبكة الجهاد العالمية

وهـي موقع إلكـتروني إخبـاري يهتم بنشر جميـع أخبار وأنشطة وإصدارات تنظيم القاعدة حول العالم، ومن أشهر ما قدمته تلك الشـبكة تقريرًا يكشـف عـن معلومات حول وجـود تنظيم «القاعدة» في سـوريا، وقد جـاء التقرير تحت عنوان «لماذا لم تظهر القاعدة في سـورية؟»، حيث استعرض التقرير وجود «القاعدة» تحت أسماء أخرى.

رابعًا: مواقع التواصل الاجتماعي

اسـتفادت التنظيـمات والجماعـات المتطرفـة والإرهابية من وسـائل التواصل الاجتماعي إلى حد كبير، وكانت تلك الوسائل جاذبة لهم لعدة أسباب، وهي:

١. قدرتها على تحقيق التواصل الاجتماعي مع الآخرين بكل اللغات والثقافات لمختلف شعوب العالم.

٢. عدم وجود رقابة على التواصل بين أطراف الاتصال.

٣. تميُّز الاتصالات بالخصوصية.

٤. إقبال الشباب على هذه الوسيلة بشكل كبير.

٥. انتشار المواقع الفكرية لرموز الفكر التكفيري وتواصلها بخطاب تحريضي جذاب مع زوارها ومعتنقي هذه الأفكار.

٦. يعلم المتطرفون الجدد أن رموز الفكر التكفيري لم يُعرفوا بشكل جماهيري إلا عن طريق المواقع الإلكترونية التي روجت لأفكارهم واستقطبت الأتباع.

٧. تشكل المنتديات الحوارية المتطرفة وقود الصراع الفكري للفكر المتطرف مع خصومه، بل إن بعض هذه المواقع يكاد يتجاوز عدد زواره ربع مليون زائر في إجازات نهاية الأسبوع.

٨. تشكل القوائم البريدية التي يشرف عليها مديرو المواقع الإلكترونية حلقة الوصل بين أقطاب الأفكار

المضللة والأتباع الذين ينشرون هذا الفكر في دوائرهم الخاصة، وهو ما يعزز من تأثيرها[٨٢].

وعلى الرغم من أن تنظيم القاعدة قد بدأ في استخدام مواقع التواصل منذ وقت مبكر، لاسيما فيسبوك وتويتر، وسعى من خلال ذلك إلى تعزيز استراتيجية لا تهدف إلى نشر ثقافته المتطرفة والتكفيرية فحسب، بل إلى شن حرب نفسية للتأثير في الخصوم، والسعي إلى استقطاب الشباب، للتطوع في صفوفه والقتال في البلدان التي يحارب فيها مثل أفغانستان والعراق وسوريا واليمن ودول أخرى، إلا أن تنظيم داعش يبقى أكثر التنظيمات استخدامًا لشبكات التواصل الاجتماعي مقارنة بالتنظيمات الإرهابية التي سبقته مثل القاعدة وبوكو حرام[٨٣].

واستطاع الداعون إلى الفكر المتطرف تحقيق عدة أهداف من خلال مواقع التواصل الاجتماعي أبرزها الدعاية والتجنيد، عن طريق نشر الفيديوهات والصور والأخبار المتعلقة بالتنظيمات الإرهابية ومحاولة التواصل مع الشباب الذين يريدون الانضمام لتلك الجماعات، وقد سهلت بالفعل تلك المواقع انضمام وسفر أعداد كبيرة من مختلف أنحاء العالم للقتال في سوريا والعراق وغيرها من

أماكـن انتشـار تلـك الجماعات، وقـد أكد مرصـد الفتاوى التكفيريـة التابـع لدار الإفتاء المصريـة في تقرير له أن وحدة التحليـل بالمرصـد أكـدت أن شـبكات ومواقـع ومنصات التواصـل الاجتماعي تمثل جامعـةً إلكترونية لإعداد وتجنيد الذئـاب المنفردة وأداة خصبة لنشر أفكارهم المتطرفة، حيث تقـوم تلك التيـارات بتصنيف مواقع التواصـل الاجتماعي وفق اسـتخدامه المناسـب. وضربـت وحـدة التحليل مثلًا بموقـع «فيس بوك» ذاكـرةً أن التيارات المنحرفة فكريًّا ترى أن الفيس بوك يسـاعد في تجنيد الذئاب المنفردة بسهولة عبر استدراج الشـباب وتجنيدهم بطريقة غير مباشرة. أما موقع «تويتر» فتسـتخدمه الجماعات المتشـددة لنـشر الأخبار التي تـروِّج لأفكارها، ورصـد ردود الأفعال الرسـمية والعادية من الدول والأفراد تجاه مختلف القضايا التي تشـغلها خلال الفترات المستقبلية. وبالنسبة لموقع «تليجرام» فإن التيارات المتشددة تبدي اهتمامها به لمساهمته في نشر أدبياتهم وكتاباتهم وأفكارهـم وكلماتهم الصوتية لأمراء الجهـاد، ونشر روابط تقاريرهـم المصـورة والمرئيـة لترويـج نجاحهـم المزيـف في سـاحات القتـال عـلى قنـوات موقـع اليوتيوب الـذي يعد هـو الآخر من أوائـل المنصات التي اسـتخدمتها التنظيمات الإرهابية لتمرير خطابها الدعائي، حيث تسـتغل الجماعات

الإرهابية الموقع لتمكين مشاركيها من تحميل الفيديوهات قبل الحذف، حيث إن نظام المراقبة الخاص بالموقع يتم بعد رفع الفيديوهات عليه.

وقد نوَّه مسئولون بمنظمة الشرطة الجنائية الدولية (الإنتربول) بأن أكثر من ١٥ ألف مقاتل أجنبي من نحو ٨١ دولة توجهوا للقتال في صفوف الجماعات المتطرفة في العراق وسوريا، ومنهم ٣ آلاف مقاتل من الغرب، وألف منهم على الأقل من القارة الأوروبية (نحو ٥٠٠ منهم من المملكة المتحدة و٢٥٠ من بلجيكا). وتحوي صفوفهم نحو مائة مواطن أميركي[٨٤].

ومن أمثلة نشاط دعاة التطرف على مواقع التواصل صفحة المدعو ترجمان الأساورتي على فيسبوك وتويتر، فقد تردد ذلك الاسم بوصفه واحدًا من أشهر مناصري داعش، حيث كان يصدر فيديوهات من إنتاجه وجهده الشخصي.

وحظي حسابه بشهرة وشعبية واسعة بين أعضاء وأنصار الفكر المتطرف، وبغض النظر عن كون الحساب يعود لشخص واحد أو لعدة أشخاص، فإن صفحة ذلك الشخص قد قامت بدور دعائي كبير لتنظيم داعش على وجه الخصوص.

المبحث الرابع
الاجتماع البشري مع المتطرفين

نستعرض في هذا المبحث أهم الأماكن والمواقع التي يحرص المتطرفون على ارتيادها ومخالطة الناس فيها؛ كي يمكنهم بث سمومهم وأكاذيبهم في عقول الناس ظلمًا وعدوانًا وفيما يلي أبرز تلك الأماكن:

أولًا: المساجد.

لا شك أن المسجد يعبر عن جوهر الشريعة الإسلامية، وقيمها الإنسانية والاجتماعية؛ فالمسجد الذي كان في صدر الإسلام هو المدرسة والديوان ومجلس القضاء، قبل استقلالية تلك المؤسسات وتنظيم الدولة، وقد ظل محتفظًا على مدار تلك القرون المتعاقبة برسالته التوعوية الشاملة، وظل متضلعًا بدوره الإنساني والاجتماعي.

وقد فطنت الجماعات المتطرفة لأهمية المسجد ومكانته في البيئة الإسلامية، ولذلك وجهت جهودها محاولة استغلال المسجد بالوجه الذي يحقق لهم غايتهم، لا سيما

وأن التواصل المباشر في المسجد بين داعية التطرف وبين الأشخاص أكبر تأثيرًا وأكثر فاعلية من التواصل عبر مواقع التواصل أو الكتب المطبوعة.

فالإخوان على سبيل المثال كانت تعتمد استراتيجيتهم في التجنيد -في وقت سابق- على المساجد بطريقة رئيسة عن طريق نشر الأفراد المكلفين بالتجنيد وتوجيههم لاستقطاب مرتادي المسجد من كافة الفئات العمرية عن طريق الأنشطة وحلقات تحفيظ القرآن، والدروس الشرعية، والأنشطة الاجتماعية، ونحو ذلك من آليات الاستقطاب التي تتبعها الجماعة في كسب الأتباع والمؤيدين، بل إن استغلال المساجد يتخطى ذلك الحد، ليصبح منبرًا دعائيًّا لتحقيق أهداف سياسية، وقد ظهر ذلك جليًّا في الانتخابات البرلمانية والسياسية التي شهدتها العديد من الدول العربية التي تنشط فيها جماعة الإخوان.

وقد نشرت مؤسسة أبحاث مكافحة التطرف الأمريكية في ٣/ ٦/ ٢٠٠٨م تقريرًا يتحدث عن استخدام الإخوان لمساجد أمريكية في الدفاع عن متورط في قضايا اغتصاب، يُدعى طارق رمضان، وهو حفيد مؤسس جماعة الإخوان حسن البنا. وقال المحلل السياسي الأمريكي جون روسوماندو: إن الإخوان استخدموا مسجدين في العاصمة

واشـنطن، للدعـوة إلى تنظيم مظاهرات منـاصرة لرمضان. وأضاف روسوماندو أن الإخوان نظموا برامج أيديولوجية في المسـجدين، تهـدف إلى تنظيـم حمـلات تطالـب بإطلاق سراح رمضان[٨٥].

أما معهد بحوث إعلام الشرق الأوسط الأمريكي، فقد سلط الضوء على استخدام مساجد فرنسية من قِبَل الإخوان للحديـث عن طارق رمضان، ودحض تهم اغتصاب موثقة لدى السـلطات الفرنسـية. ونـشرت أسرة التحريـر تقريرًا تقـول فيه: إن إمام مسـجد عائشـة دي مونبلييه في فرنسـا، محمـد خطابي، أسـهب في الحديث عما أسـماه فضائل طارق رمضـان خـلال خطبـة الجمعـة في الثامـن مـن حزيـران/ يونيـو ٢٠١٨م، واسـتغل العبـادة للدعـوة إلى الوقوف إلى جانبه، وعدم التزام الصمت. وأشار المعهد إلى أن استخدام المسـجد في هذا الغرض لم يكـن سريًّا، بل جرى نشر الخطبة علانية على موقع يوتيوب.

ولم تقـل الجماعات المتطرفة الأخرى عن جماعة الإخوان في اسـتغلال المسـاجد، ففي دراسـة أعدها مرصد الفتاوى التكفيريـة في دار الإفتـاء المصريـة أكـدت أنـه منـذ عمَّـت الفوضى ليبيا واسـتحكمت سـيطرة الجماعات المتطرفة على

مناطـق عـدة هناك؛ شـهد الكثير من المسـاجد عدة تغيرات سـببها السـيطرة التي خضعت لها من قِبَل هـذه الجماعات، ومـن ذلـك السـيطرة عـلى عقـول الشـباب عـبر الخطـب والدروس التي تقدم في المسـاجد، موضحـة أن قيام العوام بالخلـط ما بين العامل والإمام الهـاوي والإمام الكفء كان من أسباب تمدد أفكار تنظيم داعش عبر المساجد.

وذكـرت الدراسـة أن التنظيـم اسـتعان بالعنـاصر التي تـم تجنيدها في المسـاجد للقيـام بالعمليـات الانتحارية ضد أهـداف محددة، موضحـةً أن تفجير المرفأ النفطي الذي وقع في عـام ٢٠١٦م بالعاصمـة طرابلـس، تـم من خـلال أحد المراهقين الذين تم تجنيدهم داخل أحد المساجد.

ورصدت الدراسة شهادات لأشخاص حول استغلال تنظيـم داعش للمسـاجد في المـدن الليبيـة، حيث أفصحت إحـدى الليبيـات عـن تجربـة أبنائهـا مـع التنظيم عـبر أحد المسـاجد هناك، فقد تعرض ابنها إلى محاولة التجنيد من قِبَل تنظيم داعش عبر المسـجد والخطـب والدروس التي أقامها نظام الحسـبة، وذلك بعد أن قامت السـيدة بإرسـال أبنائها إلى المسـجد من أجل حفظ القرآن الكريم خشية الانحراف والأمية، خصوصًا بعد توقف الدراسة في مدينة درنة بسبب

تـردي الأوضاع الأمنية، إلا أن الأمـر انتهى بانضمام أبنائها إلى التنظيم[٨٦].

وفي تونس روَّجت جماعات إسلامية من داخل المساجد، لفكرة الجهاد في أفغانسـتان، ثم في سـوريا حديثًا. وعلى إثر ذلـك انتقـل آلاف التونسـيين مـن بلدهـم إلى أفغانسـتان وسـوريا، وكانت تونـس من بين أكثر الدول التي أرسـلت مقاتلـين منهـا إلى جماعـات متطرفـة، كداعـش والقاعـدة. وقـدرت تقاريـر إعلامية أعداد التونسـيين الذيـن انضموا لتنظيم داعش وحده بقرابة ٦٠٠٠ مقاتل[٨٧].

وإذا كانـت المسـاجد تُسـتغل مـن جانـب الجماعـات المتطرفة في البلدان العربية والإسـلامية، فإن استخدامها في البلدان الأوربية وغير الإسـلامية يكون أشـد تأثـيرًا، نظرًا لقلـة مصـادر التوعية لمسـلمي تلـك البلـدان، ولاعتمادهم على المسجد بشكل أسـاسي للحفاظ على ارتباطهم بهويتهم الثقافية والدينية، مما كان له انعكاساته السلبية في حالة ما إذا كان المتصدرون للدرس والإفتاء والخطابة في تلك المساجد مـن أصحاب الاتجاهـات المتطرفة، فـ «أن يتمتـع الإمام أو خطيب المسجد بشخصية كاريزمية كفيل بأن يمنحه القدرة على اجتذاب الشباب والتأثير فيهم للالتحاق بتنظيم الدولة

الإسلامية» بهذه الكلمات وصف الجهادي الموقوف في ألمانيا أيوب (٢٧ عامًا) دور الإمام في جذب الشباب إلى داعش خلال اعترافاته أمام محكمة مدينة سيلة شمال ألمانيا، وقد اعترف أنه تأثر بأحد أئمة المساجد لينضم بعدها إلى تنظيم داعش، وقد سلطت اعترافاته الضوء في الصحافة الألمانية على الدور السلبي الذي يلعبه أئمة المساجد في خلق وصناعة الجهاديين .

وبحسب ما صرح رئيس مكتب حماية الدستور بولاية شمال الراين وستفاليا في غرب ألمانيا بوركارد فراير فإن ١٠٩ مسجدًا من مجموع ٨٥٠ مسجدًا موجودًا في الولاية تخضع لمراقبة السلطات الأمنية، وأكد فراير في مؤتمر صحفي عقده الأربعاء الثالث من تموز/ يوليو ٢٠١٩م في مدينة دوسلدورف أن هذا العدد ازداد بشكل ملحوظ في الأعوام الأخيرة، وأوضح المسئول الأمني بأنه يتم تصنيف مسجدٍ ما بكونه ذا ميول تطرفية عندما يقصده سلفيون متطرفون أو تتكرر فيه خطابات الكراهية، ومن بين ١٠٩ مسجدًا خاضعًا لرقابة الجهات الأمنية هناك ٧٠ مسجدًا تحوم الشكوك حول توجهاتها السلفية، وتعتبر السلطات أن ١٦ مسجدًا أخرى لها ارتباط مادي وهيكلي بجماعة الإخوان المسلمين(٨٨).

وقد نشرت صحيفة الشرق الأوسط في ١٢ أبريل ٢٠١٩م تقريرًا عن تنامي أعداد الأئمة المتطرفين، حيث وصل عدد الأئمة المشتبه في علاقتهم بالفكر المتشدد في بلجيكا، ويخضعون لرقابة جهاز أمن الدولة البلجيكي، خلال العام الماضي، إلى ٧٢ إمامًا، بينما كان الرقم ٨٥ إمامًا عام ٢٠١٧م، وكان ٣٧ إمامًا فقط عام ٢٠١٦م. وبناء على ذلك تكون الأرقام قد تضاعفت خلال العامين الأخيرين، مقارنةً بعام ٢٠١٦م الذي عرف تعرض بلجيكا لتفجيرات ٢٢ مارس (آذار)، التي شملت مطارًا ومحطة قطارات داخلية، وأسفرت عن مقتل ٣٢ شخصًا وإصابة ٣٢ آخرين.

وكما تعد المساجد هدفًا للتنظيمات المتطرفة بغرض التجنيد والتعبئة والدعاية فإنها أيضًا تعد هدفًا مشروعًا لتنفيذ عمليات الانتقام والتصفية والتطهير العرقي؛ فالفتاوى التي تبيح استهداف المساجد كأحد الأهداف المشروعة أكثر من أن تحصى، وتكفي الإشارة إلى أنه في السنوات العشر الماضية تم تنفيذ (١٨٤) عملية إرهابية، وراح ضحيتها أكثر من (٣٤٤٧) شهيدًا، وأصيب أكثر من (٦٣٣٣). وشهد منحنى العمليات الإرهابية ضد المساجد تصاعدًا كبيرًا منذ عام ٢٠١٥م مع صعود تنظيم داعش

الإرهابي في سوريا والعراق وتمدده في مناطق عدة، وكذلك تنامى نشاط تنظيم بوكو حرام وحركة طالبان باكستان، وهي الجماعات الأكثر تنفيذًا للعمليات الإرهابية ضد المساجد.

وكان هناك بين كل تلك الهجمات خمس هجمات إرهابية تعد هي الأكثر عنفًا ودموية ضد المساجد خلال السنوات العشر الماضية، وهي (هجوم مسجد الروضة بمصر ٢٠١٧م، مذبحة مساجد كوكاوا بنيجيريا ٢٠١٥م، هجمات مسجدي بدر والحشوش بصنعاء اليمن ٢٠١٥م، هجمات ضريح السيدة زينب بسوريا ٢٠١٦م، هجوم المسجد الكبير بمدينة كانو بنيجيريا ٢٠١٤م)، وقد نتج عن تلك الهجمات الخمس سقوط (٨٤٦) شهيدًا أي ما يوازي (٢٥٪) من جملة الشهداء خلال السنوات العشر الماضية جراء الـ ١٨٤ هجومًا.

ثانيًا: شبكات العلاقات والمصالح الاقتصادية

تعتمد التنظيمات المتطرفة على عدة عوامل تحاول من خلالها التمدد والانتشار بما يسمح لها بتوسيع نشاطاتها الإجرامية، فبجانب العامل الرئيس وهو الجانب الإيدلوجي الفكري، تحاول التنظيمات المتطرفة الاهتمام بعامل آخر

لا يقل خطورة عن نشر فكر وإيدلوجيا التطرف، وهو عامل شبكات العلاقات، فإن شبكات العلاقات تؤمن دعمًا ماديًّا وبشريًّا غير محدود لتلك التنظيمات، وتكون في بعض الحالات هي الرقم الأصعب في خطورة التنظيمات الإرهابية.

وتتعدد الأنماط المكونة لشبكات العلاقات التي تستفيد منها التنظيمات الإرهابية، وكثيرًا ما تكون تلك الشبكات عبارة عن عصابات ومجموعات إجرامية، وبالطبع فإن ذلك يزيد من تعقيدات وتحديات استراتيجيات مواجهة التيارات المتطرفة؛ إذ التحالف بين التنظيمات الإرهابية وبين المجموعات الإجرامية الأخرى يؤمن مصادر تمويل ضخمة، وفي بعض الأحيان يسهل من تأمين تجنيد ونقل العناصر المتطرفة، ومن أهم أشكال تلك الشبكات:

عصابات الاتجار في المخدرات:

وقد كان التعاون بين حركة طالبان في أفغانستان وبين تجار المخدرات مثالًا ظاهرًا على ذلك؛ حيث تحولت أفغانستان إلى مركز عالمي لإنتاج الأفيون، وبلغ هذا الإنتاج سنة ١٩٩٩م ٤٥٨١ طنًّا، ووجد التنظيم في إنشاء تلك الشبكات مصدرًا رئيسًا لتمويل النشاطات الإرهابية، وهذا

مـا دفع المديـر التنفيذي لمكتـب الأمم المتحـدة للمخدرات والجريمة أنطونيو ماريو كوستا للتصريح بأن «الأدلة تتزايد بشـأن اسـتخدام عائدات المخـدرات في تمويل النشـاطات الإجراميـة بـما في ذلـك الإرهابيـة منهـا»، وعـلى مـدى السـنوات الخمس والعشرين الماضية، وعلى مدار السنوات الثلاثـين الماضية كانـت هناك روابط عديـدة بين المخدرات والإرهـاب؛ فمن بين المنظمات الثـلاث والأربعين المعروفة رسـميًّا منظـمات إرهابيـة أجنبيـة، وجـدت إدارة مكافحة المخـدرات الأميركيـة إلى عام ٢٠١٤م أن تسـع عشرة منها ترتبـط بشـكل أو بآخر بتجـارة المخدرات العالميـة، وتعتقد الإدارة أن مـا يصـل إلى ٦٠ ٪ من المنظمات المسـلحة ترتبط بالتجارة غير المشروعة، وهي تجارة المخدرات[٨٩].

عصابـات تهريـب الآثـار والتجـارة فيها: فقـد تعـاون تنظيم داعش مع عصابات تهريب وتسـويق الآثار، لا سـيما بعـد اسـتيلاء التنظيـم على مناطـق أثرية في كل مـن العراق وسـوريا، ورغـم ظهـور التنظيـم في عدد مـن الفيديوهات يحطـم آثـار مدينة تدمر السـورية وغيرهـا، إلا أنـه قد ثبت قيـام التنظيـم بتهريـب الآثار، ويمكـن الجزم بـأن العرض أصبـح كبيرًا في سـوق الآثـار المنهوبة من سـوريا والعراق، فبحسـب سلطات الجمارك الأميركية ازدادت واردات قطع

الـتراث الـواردة من سـوريا بمعـدل ١٤٥ في المائة، في حين زادت واردات الـتراث الثقـافي مـن العـراق بواقـع ٦١ في المائـة مـا بـين عامـي ٢٠١٣ - ٢٠١١م؛ مما يعنـى أن تلك التجـارة المحظـورة باتـت تعتمد بشـكل كبير عـلى التجارة الشرعية. ويرى خبراء أجهزة الاسـتخبارات الغربية أنه مع اسـتمرار الصراع أصبحت الآثار تمثل مصدرًا كبيرًا لتمويل داعش[٩٠].

وفي تصريحات لسـفير روسـيا لدى الأمـم المتحدة فيتالي تشـوركين، أكد أن تنظيم داعش في سـوريا والعراق يجني ما بين ١٥٠ و٢٠٠ مليون دولار سنويًّا جراء بيع الآثار المنهوبة.

وكشـف مايـكل دانتـى، وهـو مـن أكـبر الأثريـين في الولايـات المتحدة وأسـتاذ بجامعة بوسـطن، أن بيع الآثار المنهوبـة يتـم عـن طريـق وسـطاء، يقومـون بتهريبهـا عبر الدول المجاورة، مثل تركيـا ولبنان وغيرها. وبعض هؤلاء الوسـطاء هم من أعضـاء عصابات الجريمـة المنظمة الذين يتاجـرون في كل شيء، لكن تنظيم داعش وجد فيهم حليفًا يفيدهم ماديًّا، ويزيد دخلهم وحجم تمويلهم، بالإضافة إلى أن عصابات الجريمة المنظمة تعتبر بالنسـبة لداعش مصدرًا أساسـيًّا لتوريد الأسلحة لهم، كما ذكرت صحيفة «واشنطن

بوسـت» نقلًا عن خـبراء في مجـال مكافحة تهريـب الآثار، أن تنظيـم «داعش» الإرهابي باع أكثـر من ١٠٠ قطعة أثرية منهوبة من سوريا والعراق، موضحين أن تلك القطع جرى تهريبها إلى بريطانيا[٩١].

منظـمات الهجرة غـير الشرعية: وهي تمثل مصـدرًا مهمًّا مـن مصـادر التنظيـمات الإرهابيـة، حيـث تسـتطيع تلـك المنظـمات غـير الشرعيـة بالتعاون مـع التنظيـمات الإرهابية تحقيـق عائـد مـادي كبـير، وقـد أوضـح تقريـر أمنـي أن «الصـلات التـي كشـفتها الشرطـة الأوروبيـة « يوروبول» والشرطة الدولية «إنتربول» بين الإرهاب وشبكات الهجرة السرية تكمن أساسًـا في اسـتغلال وسـائل لوجستية لدعم الأنشـطة المرتبطة بالإرهاب». وأشـار التقريـر الذي تناول شـبكات الهجـرة السرية إلى أوروبا إلى أنهـا أضحت مصدر أربـاح هائلـة للجريمة المنظمـة التي نجحت العـام الماضي في جمـع ما يناهز سـتة مليـارات دولار. ودخل مـا يربو على مليون شـخص أوروبا في ٢٠١٥م. وتشير تقديرات إلى أن كلًّا منهم دفع ما بين ٣٢٠٠ و٦٥٠٠ دولار لتسهيل رحلته كما جاء في التقرير[٩٢].

عنـاصر التنظيـمات الإرهابيـة داخـل السـجون: فقد تشـكِّل العناصر المتطرفة داخل السـجون شبكة مهمة لنشر الفكر المتطـرف والقيـام بتجنيد عناصر جديـدة للتنظيمات

الإرهابيـة، وتكمن خطـورة تلك الشـبكات خصوصًا، في البيئة التي تلتقي بها مع الأشـخاص المسـتهدفين، فالسجن في حـد ذاته بيئة حاضنة للفكر المتطرف، ويشـكل في الكثير مـن الأحيان نقاط تحول فكرية صادمة، مما يسـهِّل على تلك الشـبكات إقنـاع المسـجونين بتلـك الأفكار، وقـد أوضح مرصد الأزهر الشريف في دراسة له أنَّ كثيرًا من الإرهابيين الذين خطَّطوا لتنفيذ هجماتهم في إسـبانيا، كانوا يقيمون بها منذ عدة سنوات، حيثُ تبنَّوا الفكر المتطرف داخل السجون مـن خـلال عنـاصر التنظيـمات المتطرفـة داخل السـجون، وذلك عن طريق شرح بعض المفاهيم الدينية بشكلٍ خاطئ ومُضَلِّل، وتفسيرها حسبما يخدم أهواءهم.

ووفقًـا للبيانـات التـي طرحتهـا «الأمانـة العامـة للمؤسسـات الإصلاحيـة» فـإن هناك ٢٥٧ سـجينًا داخل السـجون الإسـبانية تحـت المراقبـة لتورطهـم في الأعـمال الإرهابيـة أو اتصالهم بالسـجناء المتطرفـين؛ حيث تصنفهم الإدارة إلى ثـلاث مجموعـات؛ المجموعـة الأولى (A) هـم المدانـون بجرائـم مرتبطـة بالإرهـاب وهم ١٣٤ سـجينًا؛ والمجموعـة الثانية (B) تضم سـجناء حُوكِموا بجرائم غير مرتبطـة بالإرهاب، لكنهـم مُدرَجون على قائمـة المتطرفين المحتملين، وعددهم ٤٢ سـجينًا، أما المجموعة الثالثة (C) فهم سجناء على استعداد لقبول الفكر المتطرف[٩٣].

وفي قصة نشرتها صحيفة التايمز البريطانية تروي أن أحد السجناء الذي أطلق سراحه بشكل مشروط تعرض لمحاولات لتجنيده خلال قضائه فترة في سجن وودهيل في ميلتون كينز من قبل نزلاء أقدم منه، وكيف عرضوا عليه بعد نقله من السجن مساعدته في تسهيل سفره إلى سوريا لينضم إلى داعش.

ويسرد تقرير الصحيفة ما تقول أنها أكدته من أقوال السجين، عبر التحقق من وجود الأشخاص الذين ذكرهم في السجن نفسه في تلك الفترة وممارساتهم التي لفتت انتباه الحراس والقائمين على السجن، خاصة تعمدهم مضايقته أمام السجن[٩٤].

وبحسب ما قاله أحد المصادر بوزارة الخارجية العراقية لجريدة الشروق في تحقيق لها فإن سجن بوكا جنوب العراق كان بيئة مصطنعة لتحويل قيادات عسكرية سابقة بالجيش العراقي إلى متطرفين تم الإفراج عنهم في مرحلة لاحقة ليكونوا نواة لداعش. فعندما دخلت هذه القيادات العراقية إلى السجن اختلطوا بالمتطرفين، وكانت هناك حرية حركة كبيرة داخل السجون خلال سيطرة الإدارة الأمريكية عليها.

ونقـلًا عـن مصـدر آخـر يؤكـد ذات الفكـرة بصحيفـة الجارديـان فإن سـجن بوكا لم يكن سـجنًا عاديًّـا بل كان مدرسـة ضمت تشـكيلة متنوعة من الأفـكار والمواهب والطاقات العراقيـة، كان نزلاء المعتقل ضباطًا في الجيش والمخابـرات وجهاز الأمن الوطنـي، وعناصر وموظفي منظومـة التصنيع العسـكري العراقي، وموظفي منشـأة تمـوز النووية، وعلماء وخبراء عراقيـين بارزين، وأعضاء بحزب البعث وعناصر المقاومة العراقية الوطنية الرافضة للاحتلال، أضيف إليهم عشرات المعتقلين من المتطرفين. فيما تشير إحصائيات غير رسمية إلى أن ١٧ شخصية من مجموع ٢٥ شخصية تدير داعش قضوا فترات بالسجون الأمريكية في العراق في الفترة من ٢٠٠٤-٢٠١١م[٩٥].

أبرز شـبكات العلاقات التي تمثل مصدرًا رئيسًـا لدعم التطرف:

- شبكات المتطرفين داخل السجون
- عصابات تهريب وتجارة الآثار
- منظمات الهجرة غير المشروعة
- عصابات تجارة المخدرات

ثالثًا: العلاقات الاجتماعية (القرابة والمصاهرة)

تعتمد التنظيمات الإرهابية نموذجًا أمنيًّا متحفظًا جدًّا أثناء عملية التجنيد، لكون عملية التجنيد الفعلية تنطوي على خطورة كبيرة تتمثل في الكشف عن بعض الأعضاء المهمين في شبكات تلك المجموعات، وتعريض أولئك الأعضاء لمخاطر الاعتقال أو التتبع الأمني، إذا ما أفصح الشخص المراد تجنيده عن تلك المحاولات، ولذلك فإن عملية دراسة الحالة للشخص المراد تجنيده تتم برويَّة وبحذر، لتتأكد تلك الشبكات من صلاحية الشخص المستهدف، ومن ثم تبدأ خطوات التجنيد الفعلية.

ومن هنا تبرز أهمية العلاقات الاجتماعية من قرابة ومصاهرة في تلك العملية؛ فالعلاقات الاجتماعية الأسرية والعائلية تعطي غطاء أمنيًّا كافيًا يسمح بحدوث عملية التجنيد وما بعدها من عمليات التخطيط في إطار من الثقة والخصوصية.

ولذلك تعتمد التنظيمات الإرهابية والمتطرفة على العلاقات الاجتماعية وصلات القرابة، لكونها تُمَثِّل صعوبة في الاختراق، فوفقًا لاتجاهات عديدة، هي تعتمد على علاقات الأخوة وصلات القرابة، حتى تبقى أنشطتها في

إطار من الكتمان، ومن ثم الالتفاف على كل محاولات كشف عناصرها من قِبَل الأجهزة المعنية بمكافحة الإرهاب.

وخطورة نمط الإرهاب العائلي تكمن فيما يمكن أن يحدثه من تأثير سلبي في نطاق تحركه، وفي ظل التعاملات اليومية المعتادة بين أعضائه، فتعد العلاقات العائلية إحدى آليات التجنيد للتنظيمات الإرهابية والمتطرفة، ولها دور فعال فى التأثير على أذهان الأفراد، وأسهمت في إعادة إنتاج الإرهاب، وتوريث قيم التطرف ومنظومته الفكرية من جيل لآخر، حيث تقوم عناصر تربطهم علاقات قرابة ووشائج اجتماعية باستقطاب الرجال والنساء والشباب بدعوتهم المزيفة للجهاد، والانضمام لداعش، ويتضح تأثير العلاقات العائلية ودورها فى آليات التجنيد في كثير من العمليات الإرهابية(٩٦).

وعملية التجنيد ليست هي الهدف الوحيد لاستغلال الجماعات المتطرفة للعلاقات الاجتماعية -وإن كان أبرزها- فبالإضافة إلى تحقيق معدلات نجاح مرتفعة في عملية التجنيد، تسعى التنظيمات المتطرفة لاستخدام العلاقات الاجتماعية لتحقيق عدة أهداف أخرى، وهي:

- مواجهة القيود الأمنية: فتحاول التنظيمات الإرهابية من خلال تجنيد عائلات متطرفة بأكملها التحايل على

القيـود المشـددة التي تفرضها أجهـزة الأمن في الدول المختلفة، باعتبـار أن ارتباط الإرهابيين بصلات قرابة يسـهل من عملية التنسـيق فيما بينهم، لا سـيما في حالة مـا إذا اتجهـوا إلى تنفيـذ عملية إرهابيـة، ويصعب من عمليـات رصـد تحركاتهم مـن جانب أجهـزة الأمن. وربـما يفسر ذلك -إلى حـد ما- أسـباب نجاح بعض الأشـقاء في تنفيذ عمليات إرهابية داخل بعض الدول الأوروبية، رغم أن بعضهم خضع لمراقبة وملاحقات أمنية قبل ذلك.

- تصفية المنشـقين: فتشير بعض الاتجاهات إلى أن بعض التنظيـمات الإرهابيـة تسـعى من خلال تجنيـد أعضاء جـدد من عائلـة واحـدة إلى تصفية أعضـاء آخرين في تلـك العائلة، خاصـة الذيـن أعلنوا انشـقاقهم عنها، نتيجة اتساع الخلافات فيما بينهما.
- المسـاعدة في تنفيـذ العمليات الإرهابيـة: إذ أن وجود أكثـر من شـخص إرهـابي داخل عائلة واحـدة يمكن أن يعـزز مـن رؤيـة التنظيـمات الإرهابيـة، مـن حيث قدرتهـا على تنفيذ عمليات إرهابيـة، من خلال العمل على تقسـيم المهام فيما بينهم، حيـث يقتصر دور بعض

الأشـخاص في هـذه الحالـة عـلى تقديـم مسـاعدات لوجيسـتية، عـلى غـرار توفـير المـواد المسـتخدمة في العملية الإرهابية ووسيلة الانتقال وتحديد الهدف، إلى الإرهابيين الذين يتم تكليفهم بتنفيذها[٩٧].

أهداف استخدام العلاقات الاجتماعية

- تصفية المنشقين
- مواجهة القيود الأمنية
- تسهيل عمليات التجنيد
- المساعدة في تنفيذ العمليات

وقـد أشـار مرصـد الفتـاوى التكفيريـة لـدار الإفتـاء المصريـة، إلى أن عـددًا مـن التقارير الدولية قـد أكد أن أكثر من ربـع المقاتلـين الأجانب في سـوريا والعـراق كانت لهم صـلات قرابـة بدرجـات مختلفة مـع المتطرفين هنـاك، وأن التنظيـمات الإرهابية قد طـورت آلياتها للتوغل داخل البنى الاجتماعية، وربما شهدت الجماعات الإرهابية انضمام أشقاء أو أقارب بدرجة ما، لكن ما تم استحداثه في الفترة الأخيرة هـو قيام أبناء الأسرة أو العائلة الواحدة بالمشـاركة في تنفيذ عمليـة إرهابيـة، وقـد نوَّعـت التنظيمات الإرهابية وسـائل

التجنيد العائلي، ففي بعض الأحيان تتبنى تلك التنظيمات خطابًا عاطفيًّا يرتكز على مقولة أن العالم في حاجة إلى «العائلة» كنواة لبناء المجتمع النقي الذى يسود العالم بالفهم الصحيح للدين، كما تسعى هذه التنظيمات لتكثيف خطاب آلتها الإعلامية لخلق وَهمٍ لدى عناصر الأسرة أو العائلة المستهدف تجنيدها لحجبِ الوضع القائم وخلق واقع افتراضي من صنع التنظيم.

وتبرز تداعيات استخدام العلاقات الاجتماعية في عدة أمثلة دلت على اعتماد التنظيمات والجماعات المتطرفة على تلك الاستراتيجية على نطاق واسع.

أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م: قام بتنفيذها ١٩ إرهابيًّا على الأراضى الأمريكية، واستهدفت رموز الهيمنة الأمريكيَّة السياسيَّة والاقتصاديَّة والعسكريَّة، شارك فى تنفيذها ستة أشقاء.

تفجيرات مدريد: ضلع الأخوان محمد ورشيد ولد عكشة في ١١ مارس عام ٢٠٠٤م في الاشتراك بتفجيرات مدريد، وهي سلسلة من التفجيرات استهدفت خطوط السكك الحديدية في العاصمة الأسبانية، وأسفرت عن سقوط ١٩١ قتيلًا و١٧٥٥ مصابًا.

تفجيرات بوسطن: قام الأمريكيان من أصول شيشانية، تيمور لنك، وجوهر تسارنايف، بتفجيرات ماراثون بوسطن في أبريل ٢٠١٣م، والتي أسفرت عن مقتل وإصابة ٢٦٤ شخصًا.

هجوم شارلي إبدو: الهجوم على صحيفة شارلي إبدو الفرنسية الأسبوعية في يناير ٢٠١٥م، قام بتنفيذه الأخوان سعيد وشريف كواشي، وهما من أصول جزائرية.

هجوم مدينة سان براندينو: في عام ٢٠١٥م، قتل سيد رضوان فاروق وزوجته تاشفين مالك، ١٤ شخصًا وأصابا آخرين، عندما فتحا النار خلال مأدبة غداء عمل لصالح زملاء فاروق في إدارة الصحة العامة في سان برناردينو.

هجمات باريس: اشترك إبراهيم وصلاح عبدالسلام، في سلسلة هجمات في نوفمبر ٢٠١٥م؛ على العاصمة باريس، واشتملت العملية على ثلاث تفجيرات انتحارية في محيط ملعب فرنسا في ضاحية باريس الشمالية، وأسفرت الهجمات عن مقتل ١٣٠ شخصًا.

تفجيرات بروكسل: قام الأخوان إبراهيم وخالد البكراوي في مارس ٢٠١٦م بهجوم انتحاري على مطار بروكسل الدولي، ومحطة مترو مالبيك، مما أسفر عن ٣١ قتيلًا و٢٧٠ جريحًا.

الهجوم على كنائس سورابيا: حيث قامت مجموعة من أسرة واحدة بينهم مراهقون بتفجير أنفسهم في ثلاث كنائس بسورابايا ثاني أكبر مدن إندونيسيا، عام ٢٠١٨م، مما أدى لمقتل ١٣ شخصًا وإصابة ٤٠ آخرين، وكانت تلك الأسرة واحدة من ٥٠٠ أسرة أخرى عائدة من سوريا ومؤيدة لتنظيم داعش.

أبرز الهجمات الإرهابية التي شارك فيها أشخاص تربطهم علاقات اجتماعية:

- تفجيرات ١١ سبتمبر ٢٠٠١.
- تفجيرات مدريد ٢٠٠٤.
- تفجيرات بوسطن ٢٠١٣.
- هجوم شارل إبدو ٢٠١٥.
- هجوم سان براندينو ٢٠١٥.
- تفجيرات بروكسل ٢٠١٦.
- هجوم كنائس سورابيا ٢٠١٨.

الهوامش

١. مقاييس اللغة، للعلامة اللغوي أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: د.عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، (١٧٩/٣، ١٨٠)، وتاج اللغة وصحاح العربية، للعلامة أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، (٤٩٢/٢، ٤٩٣)، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، (٤٧٥/١).

٢. ينظر: ذم الهوى لابن الجوزي (٦٦).

٣. السنن الكبرى، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: د.عبد الغفار البنداري وسيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، رقم (٧٠٤٠).

٤. زاد المعاد في هدي خير العباد، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بـ«ابن قيم الجوزية» الزرعي الدمشقي الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناءوط، وعبد القادر الأرناءوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣٠، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، (٤٥/٢)

٥. قضايا الإرهاب والعنف والتطرف في ميزان القرآن والسنة، لحسن بن إدريس عزوزي، المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، (ص٢٢، ٢٣).

٦. السنن، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط٢، ١٣٧٠هـ، ١٩٥٠م، رقم (٤٩٠٤).

٧. الجامع الصحيح، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه الجعفي البخاري، دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، رقم (٣٩).

٨. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، إشراف: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بتصحيح تجاربه وتحقيقه: محب الدين الخطيب، راجعه: قصي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٩هـ، ١٩٥٩م، (٩٤/١).

٩. الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، (ص١٥٨).

١٠. الفتاوى الكبرى، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الحنبلي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م، (٩٢/٢).

١١. جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، (٢١٨/٢).

١٢. النكت والعيون، للإمام قاضي القضاة أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي، راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، (١٤١/١).

١٣. المسند، للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناءوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، رقم (١٩٧٨٦).

١٤. الجامع الصحيح، للبخاري، رقم (٥٠٦٣).
١٥. التداعيات النفسية والاجتماعية للتعصب «التطرف»، د.أسعد الأمارة، شبكة النبأ المعلوماتية، بتاريخ: ٣١ يناير ٢٠١٩م: https://:an-nabaa.org
١٦. سيكولوجيا الخوف: السمات النفسية للمتطرفين اليمينيين، د.عزة هاشم، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، بتاريخ: ٤ سبتمبر ٢٠١٩م: https://:futureuae.com
١٧. معادلة التشدد: تقوى مفرطة + جنون الارتياب، د.علي بن حمد الخشيبان، جريدة الرياض السعودية، بتاريخ: الاثنين ٦ ربيع الآخر ١٤٣١هـ، ٢٢ مارس ٢٠١٠م، العدد (١٥٢٤٦): http://:www.alriyadh.com
١٨. تهذيب اللغة، للإمام اللغوي أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تحقيق: د.عبد السلام هارون، ومحمد علي النجار وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، سلسلة تراثنا، القاهرة، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م، (٢١٨/١٣، ٢١٩)، ومقاييس اللغة، لابن فارس، (٤٤٧/٣) وما بعدها، والمحكم والمحيط الأعظم، للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سِيدَهْ المرسي الأندلسي، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، (١٤٦/٩)، والمخصص، لابن سيده أيضًا، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، (٣٥١/١)، والصحاح، للجوهري، (١٣٩٤/٤)، ولسان العرب، للإمام العلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، (٢١٣/٩) وما بعدها، وتاج العروس من جواهر القاموس، للعلامة أبي الفيض مجد الدين محمد بن محمد الحسيني المعروف بـ«مرتضى

الزَّبِيدي» الحنفي، تحقيق: عبد الكريم العزباوي وآخرين، طبعة وزارة الإعلام، الكويت، ط١، ١٣٨٥-١٤٠٦هـ، (٦٩/٢٤) وما بعدها، والمعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، (٥٥٥/٢)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، (١٣٩٥/٢، ١٣٩٦).

١٩. التطرف وعلاقته بمستوى النضج النفسي الاجتماعي لدى الشباب، لجلال سليمان بيومي، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٩٩٣م، (ص١٤).

٢٠. التطرف في الدين: دراسة شرعية، لمحمد بن عبد الرزاق، بحث مقدم للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، (ص٥، ٦).

٢١. التطرف في الاستجابة وعلاقته بالسيكوباتية لدى عينة من طلبة المرحلة الثانوية بمدينة الرياض، لعواطف بنت محمد عوض عتيبي، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والإدارية، قسم علم النفس، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠١٦م، (ص١١).

٢٢. مكافحة الإرهاب والتطرف وأسلوب المراجعة الفكرية، لمحمد حمزة، وزارة الداخلية، جمهورية مصر العربية، ٢٠١٢م، (ص٥).

٢٣. التطرف الفكري وأزمة الوعي الديني، لمسفر القحطاني، مجلة دراسات إسلامية، العدد (١١)، ربيع الآخر ١٤٢٦هـ، مايو ٢٠٠٥م، (ص١٢).

٢٤. الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف، لعلي بن عبد العزيز بن علي الشبل، د.ن، د.ت، (ص٩)

٢٥. موسوعة الفقه الإسلامي والقضايا المعاصرة، د.وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م، (٧٢٧/١٣).

٢٦. ماموس وبستر للمترادفات: Webster.(1984).Webster's New Dic- tionary of Synonyam ,Webster Merriam ,Inc ,Publish- er, USA, p.316.

٢٧. همجية التعاليم الصهيونية، لبولس حنا مسعد، تقديم: محمد خليفة التونسي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٢م، (ص٦٩).

٢٨. أوجه التشابه بين ذهنيات وجماعات التطرف عبر التاريخ، المركز لألأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب: https://:www.euro-com.parabct

٢٩. سيكولوجيا الخوف، السمات النفسية للمتطرفين اليمينيين د.عزة هاشم، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، بتاريخ: ٤ سبتمبر ٢٠١٩م: https://:com.futureuae

٣٠. التطرف الأيدلوجي، د.علاء زهير، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد ٣١، العدد (٦٣) ٢٠١٥م، (ص٩٥).

٣١. فهم دور النوع الاجتماعي في منع ومكافحة التطرف العنيف والراديكالية المؤديين إلى الإرهاب... الممارسات الجديدة لإنفاذ القانون، منظمة الأمن والتعاون في أوروبا OSCE، فيينا، أبريل / نيسان ٢٠١٩م، (ص١٠).

٣٢. التطرف الأيدلوجي، د.علاء زهير، (ص٩٥).

٣٣. مقاييس اللغة، لابن فارس، (٤٤٧/٢)، ولسان العرب، لابن منظور، (٤٣٦/١)، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكُلُوم، لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني، تحقيق: د.حسين بن عبد الله العمري ومطهر بن علي الإرياني ود.يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، (ص٢٦٦٠)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، د.أحمد مختار عمر، (٩٤٨/٢) وما بعدها.

٣٤. نظـرة في مفهـوم الإرهاب والموقـف منه في الإسـلام، لعبد الرحمن المطـرودي، وزارة الأوقـاف، المملكـة العربيـة السـعودية، د.ت، (ص١٢).

٣٥. المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، (ص٣٩٠).

٣٦. قرارات المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، (ص٣٥٦).

٣٧. موسـوعة السياسـة، لعبد الوهاب الكيالي وآخرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥م، الجزء الأول.

٣٨. الإرهـاب والعقـاب، لمحمود صالح العـادلي، دار النهضـة العربية، القاهرة، ١٩٩٣م، (ص٢٩).

٣٩. معجـم مصطلحـات العلوم الاجتماعيـة، لأحمـد زكي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٧م، (ص٤٢٣).

٤٠. الإرهاب صناعة غير إسـلامية، لنبيل لوقا بيـاوي، دار البياوي للنشر، القاهرة، ٢٠٠١م، (ص٥٨).

٤١. الجـذور التاريخيـة لظاهرة التكفير، سـجى عبد مسرهـد، مجلة كلية التربيـة الأساسـية للعلـوم التربويـة والإنسـانية، جامعة بابـل، العدد (٢٢) ٢٠١٥م، (ص٤٠٦).

٤٢. محاكم التفتيش، د.رمسيس عوض، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠١م.

٤٣. القرامطـة، للإمـام أبي الفـرج جـمال الديـن عبـد الرحمـن بن علي بـن الجوزي القـرشي البغـدادي الحنبـلي، تحقيق: محمـد الصباغ، ط٥، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، (ص١٧).

٤٤. موقـف الإسـلام مـن الإرهـاب، د.محمد عبـد الله العمـيري، مركز الدراسـات والبحوث، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ط١، ٢٠٠٤م، (ص١٦١).

٤٥. د.شاكر عبد الحميد في حوار له: https://www.hafryat.com/ar/blog
٤٦. التشـخيص النفسي للفكـر الإرهابي عند الشـباب، لعـلي الصبيحي وهيفاء تيسـير، مجلة العلوم والتربية النفسـية، العدد الثالث، المجلد الثاني، ٢٠١٨م، (ص١١٦).
٤٧. نظرية جديدة ترصد الدوافع الأخلاقية للسلوك الإرهابي، لتامر الهلالي، مجلة سـاينتفك أمريكان، بتاريخ: ٣١ يناير ٢٠١٩م: https://www.scientificamerican.com.
٤٨. إطار جديـد لفهم الإرهاب والتطرف، لتامر الهلالي، مجلة سـاينتفك ممريكان، بتاريخ: ٦ يوليـو ٢٠١٧م: https://www.scientificam-erican.com
٤٩. لماركو بينفاري، الجامعـة الأمريكية بالقاهـرة: https://www.auce-edu.gypt
٥٠. نظرية جديدة ترصد الدوافع الأخلاقية للسلوك الإرهابي، لتامر الهلالي، موقع بنـك المعرفـة المـصري، تاريخ ٣١ يناير ٢٠١٩م: https://www.scientificamerican.com
٥١. أبحاث دوليـة حول سـيكولوجية الإرهابيين، لأسـامة نعمان، جريدة الشرق الأوسط، العدد (١٤٠١١) إبريل ٢٠٠٧م.
٥٢. نظرية جديدة ترصد الدوافع الأخلاقية للسلوك الإرهابي، لتامر الهلالي، موقع بنـك المعرفـة المـصري، تاريخ ٣١ يناير ٢٠١٩م: https://www.scientificamerican.com
٥٣. فوبيـا الإسـلام والإمبرياليـة، د.رفعـت السـعيد، جريـدة الوطـن، بتاريخ: ٢٠ مايو ٢٠١٧م: https://www.elwatannews.com
٥٤. ينظر في تعريـف الفكر أيضًا:معجم لغة الفقهاء، د.محمد رواس قلعه جي وحامـد قنيبي، دار النفائس، بـيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، (ص٣٤٩).

٥٥. أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، لعبد الله الجربوع، الجامعة الإسلامية، ط٢، ١٤٢٨هـ (١١٣/١).
٥٦. الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني والدولي، لمحمد الخطيب، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٦م، (ص١٦، ٢٠).
٥٧. تقرير صادر عن دار الإفتاء المصرية بتاريخ: الخميس ١٦ مارس ٢٠١٧م.
٥٨. الاتجاه نحو التطرف وعلاقته بالحاجات النفسية لدى طلبة جامعة الأزهر بغزة، لمحمد أبو دوابة، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الأزهر، غزة، ٢٠١٢م، (ص٣٠٥، ٣٠٦).
٥٩. النموذج العام في التطرف، لذياب البداينة، مركز ابن خلدون للدراسات والبحوث، الأردن، مجلة دراسات وأبحاث، العدد (٢٦)، ٢٠١٧م، (ص٩).
٦٠. مقالة لحسن البنا في العدد الأول لمجلة النذير، عن المرصد المصري، الحاكمية في أدبيات الإخوان وتكفير المجتمع، رباب الحكيم، ٢٠١٩م.
٦١. الصفحة الرسمية للمؤشر العالمي للفتوى، بتاريخ: ٤ نوفمبر ٢٠١٨م: https://www.facebook.com/FatwaIndex/photos
٦٢. إطار جديد لفهم الإرهاب والتطرف، لتامر الهلالي، مجلة ساينتفك ممريكان، بتاريخ: ٦ يوليو ٢٠١٧م: https://www.scientificam-com.erican
٦٣. فهم دور النوع الاجتماعي في منع ومكافحة التطرف العنيف والراديكالية المؤديين إلى الإرهاب، منظمة الأمن والتعاون في أوروبا، (ص١٦-١٧).
٦٤. بوابة دار الإفتاء المصرية، المركز الإعلامي بدار الإفتاء المصرية، بتاريخ: ١١ يوليو ٢٠١٩م.

٦٥. معالم في الطريق، لسيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٦، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، (ص١٣٩).

٦٦. المرجع السابق (ص٧٩).

٦٧. الجهاد... الفريضة الغائبة، بقلم: محمد عبد السلام فرج، د.ن، د.ت، (ص٦).

٦٨. المرجع السابق (ص٢٢).

٦٩. جريدة الشرق الوسط، ١١ يناير، ٢٠١٦م.

٧٠. إدارة التوحش... أخطر مرحلة ستمر بها الأمة، لأبي بكر ناجي، دار التمرد، سوريا، ١٤٢٩هـ، (ص١١).

٧١. الجهاد لدى الحركات الإسلامية المعاصرة... من جماعة الإخوان المسلمين إلى تنظيم الدولة الإسلامية، د.عبيد خليفي، مراجعة: ناظم بن إبراهيم، دار مسكلياني للنشر والتوزيع، تونس، ٢٠١٨م، (ص٤٦١).

٧٢. مسائل من فقه الجهاد، جمع وإعداد: أبي عبد الله المهاجر، د.ن، د.ت، (ص٢٧١).

٧٣. دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، لعمر عبد الحكيم أبي مصعب السوري، د.ن، ذو القعدة ١٤٢٥هـ، ديسمبر ٢٠٠٤م، (٨٧٦/٢)

٧٤. المرجع السابق، (١٣٩٠/٢).

٧٥. العمدة في إعداد العدة للجهاد في سبيل الله تعالى، لعبد القادر بن عبد العزيز، دار البيارق، عَمَّان، ١٩٩٩م، (ص٣).

٧٦. المرجع السابق، (ص٣٢٨).

٧٧. ملة إبراهيم ودعوة الأنبياء والمرسلين، لأبي محمد عاصم أحمد المقدسي، د.ن، ٢٠٠٠م، (ص١٤).

٧٨. المرجع السابق، (ص٣٣).
٧٩. العائـدون مـن أفغانسـتان، ما لهـم وما عليهـم، لعصـام دراز، الدار المصرية للطباعة والنشر، الثاهرة، ١٩٩٣م.
٨٠. قناة الحوار بوق الإسلاميين في أوروبا، مضر زهران، موقع عرب تايمز، بتاريخ: ٢٤ مايو، ٢٠١٠م:http://www.arabtimes.com
٨١. دعـوة المقاومـة الإسـلامية العالميـة، لأبي مصعـب السـوري، (ص١٣٧٩).
٨٢. Intelligence & Security Informatics Lecture Notes in comp uter Science, 2010, Vol.5
٨٣. مواقع التواصـل الاجتماعي: منصة خصبة لنشر التطرف واسـتقطاب الجهاديـين، د.هشـام صاغور، المركـز الأوروبي لدراسـات مكافحة الإرهاب والاستخبارات، بتاريخ: ١١ يوليو ٢٠١٩م:https://www.europarabct.com
٨٤. «تويـتر» و«يوتيوب».. سـلاحا «داعـش» في تجنيـد المتطرفين، رنيم حنوش، موقع جريدة الشرق الأوسط، بتاريخ: الاثنين ١١ ذو الحجة ١٤٣٥هـ، ٦ أكتوبر ٢٠١٤م: https://aawsat.com
٨٥. مؤسسة أبحاث مكافحة التطرف الأمريكية، ٢٠٠٨/٦/٣م.
٨٦. المسـاجد في ليبيـا وسـيلة داعـش الأولى للتجنيد، مرصـد الفتاوى التكفيرية، دار الإفتـاء المصرية، بتاريخ: ٢٧ يوليو ٢٠١٨م: https://www.dar-alifta.org
٨٧. هكذا اسـتغلت جماعات الإسـلام السـياسي منابر المسـاجد، موقع كيوبوست الإلكتروني، بتاريخ: الأربعاء ٢٥ أبريل ٢٠١٨م: https://www.qposts.com
٨٨. اسـتغلال المساجد والتطرف في أوروبا... آليات التجنيد والارتباطات

الخارجيـة، محمـد حبـش، المركـز العـربي للبحوث والدراسـات، بتاريخ: ١٩ أغسطس ٢٠١٩م: org.acrseg.www//:http

٨٩. العلاقة بين التنظيمات المسـلحة وشبكات الاتجار بالمخدرات، لعبد القادر دندن، مجلة سياسات عربية، العدد (٨) ٢٠١٤م.

٩٠. كيف يسـاهم تجار الآثار الغربيون في تمويـل «داعش»، تقرير جريدة الشرق الأوسط، بتاريخ: ١ مارس ٢٠١٦م: com.aawsat//:https

٩١. تقريـر لبوابة الحركات الإسـلامية، بتاريخ: ٧ إبريل ٢٠١٦م: http://: com.movements-islamist.www

٩٢. تقريـر عـن وروبـول: تكشـف العلاقـة بـين الإرهابيـين وشـبكات الهجـرة لاخـتراق أوروبـا، موقـع إذاعـة مونـت كارلـو الدوليـة، بتاريخ: ١٧ مايو ٢٠١٦م: com.doualiya-mc.www//:https

٩٣. سـجون إسـبانيا تُعيد تدويـر الإرهابيين وتطلقهم أكـثر خطرًا، مرصد لألأزهر الشريـف، بتاريخ: ٢١ فبراير ٢٠١٩م:-https://www.almar jie-paris.com

٩٤. هل تسـهِّل ظروف السـجون البريطانية تجنيد المتطرفين؟ قصة سجين تجدد المطالب للحكومة بمراجعة إجراءات السجون، لأحمد مصطفى، الموقع الإلكتروني العربي لجريدة الإندبندنت، بتاريخ: الاثنين ٢٣ ديس مبر ٢٠١٩م: com.independentarabia.www//:https

٩٥. التجنيد عبر السجون، لمحمود أحمد عبد الله، المركز العربي للبحوث والدراسات، بتاريخ: ٨ مايو ٢٠١٦م: org.acrseg.www//:http

٩٦. وسائل تجنيد الجماعات المتطرفة في أوروبا: آليات التجنيد المباشرة، المركـز الأوروبي لدراسـات مكافحـة الإرهـاب والاسـتخبارات، بتاريخ: ١٥ يونيو ٢٠١٩م: com.europarabct.www//:https

٩٧. أسـباب ودلالات بـروز ظاهـرة «الإرهـاب العائلي، مركز المسـتقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، بتاريخ: ٣٠ نوفمبر، ٢٠١٦م: https com.futureuae//:

المحتويات

تقديم فضيلة مفتي الديار المصرية ٥

الفصل الأول: تحديد المصطلحات وتحرير المفاهيم ١٣

المبحث الأول: مدخل إلى فهم التشدد ١٧

المبحث الثاني: مدخل إلى فهم التطرف ٢٩

المبحث الثالث: مدخل إلى فهم الإرهاب ٤٠

المبحث الرابع: الفرق بين التشدد والتطرف والإرهاب ٥٧

الفصل الثاني: أشكال التطرف ٦١

المبحث الأول: التطرف الفكري ٧١

المبحث الثاني: التطرف القولي ٧٨

المبحث الثالث: التطرف العنيف (الإرهاب) ٨٤

الفصل الثالث: مصادر التطرف ٨٩

المبحث الأول: الكتب ٩٣

المبحث الثاني: القنوات الفضائية ١١٩

المبحث الثالث: وسائل الإعلام الإلكتروني ١٢٤

المبحث الرابع: الاجتماع البشري مع المتطرفين ١٤١

هوامش ١٦٣

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المشرف على المشروعات الثقافية

مروان حماد

تصميم الغلاف

محمد أباظة

الإخراج الفني

أحمد طه محمود

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٥٦٧٧/ ٢٠٢٢

ISBN 978-977-91-4002-5